سيرة الحبشة

للعلامة القاضي حسن بن أحمد بن صلاح اليوسفي الحيمي

توفى سنة ١٠٧٢هـ

وهي موجودة بتمامها في «تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار» للمطهر بن محمد الجرموزي، ومختصرة في «بهجة الزمن ذيل أنباء الزمن» ليحيى بن الحسين بن القاسم الصنعاني

الحمد لله على ما آتانا من الإيمان والتقوى، ونصبه لنا من البرهان الموصل إلى التمسك بالسبب الأقوى، وعلمنا من البيان ما يؤثر خيره للأعقاب ويروى، وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له شهادة أنور من فلق الصباح وأضوى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أسرى بجسده إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، وبعثه إلى العالمين على اختلاف الأديان واتباع الهوى، فأخرج بعث هدايته في رياض قلوب أوليائه عشب الإيمان فأصبح للنظارة أحوى، وهشم به بنية الطغيان فأباد خضراءهم بما سن عليهم من شآبيب كل غارة شعواء، صلى الله عليه وعلى آله صلاة يبلغه بها كل أمل ورجوى، وسلم علهم أجمعين سلاماً لا يقحل غصن دوحته ولا يذوى.

وبعد: فإنه سألني من وجه إلى أمل الإسعاف، فأمرني من لا يسعني مخالفته على طريق المطابقة والإنصاف، أن **أصف له ما ينبغي مذاكرته من سفرنا إلى الديار الحبشية، واتصالنا بملك الفرقة النصرانية والملة المسيحية، عن أمر مولانا أمير المؤمنين، وخليفة الله الداعي إلى كتابه المبين،**

وأمينه على تبليغ ما انزل على قلب جده سيد المرسلين، المتوكل على الله رب العالمين، إسماعيل بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وعليهم وسلم أجمعين.

وكانت هذه جملة كلية، تشتمل على جزيئات تفصيلية، يتعين تعريف مبتدأها وخبرها، وإيضاح ما أراد السائل من عجائب قصصها وعبرها، فأجبته إلى ذلك إيثاراً لقصده، وقضاء لما ثبت عليَّ من حقوق وده، ولما أرجوه من نعش أهل الخمول! والحث على ارتكاب الأخطار العظيمة في طاعة الله عز وجل وطاعة أئمة آل الرسول، ولقد ذكرت [٧٩/ ب]عند ذلك شعر الإمام الحسين بن علي الفخي-صلوات الله عليه- حيث يقول:

وإني لأنوي الخير سراً وجهرة .... وأعرف معروفاً وأنكر مُنكرا
ويُعجبني المرء الكريم نِجَارُه .... ومن حين أدعوه إلى الخير شمَّرا
يعين على الأمر الجميل وإن يرى .... فواحش لا يصبر عليها وغيَّرا

وشجعني على رقمه في هذه الأوراق أنه ليس من التأليف المفتقر إلى كمال الإجتهاد، ولا من التصنيف الذي يتطرق إليه انتقاد النقاد، ولا يتعلق بروايته معرفة الإسناد والإرسال، ولا المعلول والإنقطاع والإعضال، وغيرهما من ساير العلل التي لا يبلغ معها درجة الصحة والكمال، ولا معرفة علم الجرح والتعديل في أحوال الرجال، وإنما هو إخبار عن مدركات الحواس، ومشاهدات النظر التي يستوي فيها الكافة من الناس، فلذلك فلم أدخل في قول من قال: من صنف فقد استهدف، وأنا أرجو أن يكون لما نويته ورتبته عليه من حسن القصد وثبته لاحقاً بعلوم الدين، ناطقاً أثره بلسان صدق في الآخرين، فإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئٍ ما

نوى، وبالله استمد الهداية والتوفيق، وأعوذ بالله أن أكون ممن جذبته الأهواء، فهي تهوي به في مكان سحيق، هو أهل التقوى وأهل المغفرة، وولي الخيرات ومواليها في الدنيا والآخرة.

[وهنا نشرع في] ذكر السبب المقتضى لذلك، وهو أن الملك المعروف بجهة الحبشة المسمى بلغتهم (سجد فاسلداس) بن السلطان سجد سينوس، -ومعنى (سجد) كما ذكره لي بعض أهل لغتهم-: كثير السجود، ومعنى سينوس من أسماء الباري عز وجل بلغتهم- وجه إلى مولانا وإمامنا أمير المؤمنين وسيد المسلمين، ومبيد أهل البدع والمفسدين، المؤيد بالله رب العالمين- سلام الله ورحمته ورضوانه- رسولاً من مسلمي تلك الديار في عام اثنتين وخمسين وألف ووجه صحبته بهدية من الدقيق والزباد وسلاح الحبشة، وضمن كتابه استدعاء رجل يصل إليه من خاصة الإمام -عليه السلام- ولم نكن على اطلاع على خاصة سر هذه القضية ومعرفتها، وإنما أخذت ذلك من رواية سيدنا القاضي العلامة غرة علماء الشيعة والعلامة، وجوهرة عقد أعضاء الخلافة والإمامة، شمس الملة والدين، أحمد بن سعد الدين بن الحسين المسوري -أطال الله عمره- سمعته يملي على مولانا المتوكل على الله -أيده الله تعالى- فكان من حديثه أنه قال مولانا المؤيد بالله-سلام الله عليه- لم يستحسن المسارعة إلى[٨٠/ أ] إجابة هذا الملك بإرسال أحد إليه قبل المعاودة منه، وتكرار المراسلة، قال: فإن عاد من كتاب آخر بعد ذلك فلا بأس بإسعافه إلى مطلبه، وانبرم الرأي على الجواب عليه وتأخر[الرسول] المطلوب من أصحاب الإمام -عليه السلام- فكتب جواب الملك ووجه إليه مولانا المؤيد بالله-رضوان الله عليه- هدية سنية، وعطية فاخرة هنية، وصدر رسول من الحضرة المؤيدية، مثنياً عليهم بلسان الثناء، متملياً من أنوار ذلك الفضل والسناء، وتوجه راجعاً من جهة بندر (المخاء) حرسه الله تعالى.

وقد أمر مولانا أمير المؤمنين -قدس الله سره- النايب في البندر المحروس بتجهيزه في المراكب المعدة من جماعة العسكر المحافظين في ذلك البندر، واعداده عدة المحاربة في تلك المراكب من المدافع والزبارط من البنادق المتخذة سلاحاً للعسكر المنصور، وذلك لأجل لخوف من الأتراك الذين بجانب (سواكن) وبندر (مسوع)-أقماهم الله وقطع دابرهم- فوقع التجهيز من النايب في هذا البندر على هذا التقرير، ومطابقة هذا التقدير، وبلغوا به إلى بندر (بيلول) المعروف بلد السلطان (شحيم بن كامل الدنكي) ورجع العسكر سالمين لم يعرض لهم شيء من جانب الخصم بحمد الله ومنه، وتوجه رسول ملك الحبشة إلى مخدومه بتلك الهدية، والجواب عليه في ما ذكره، وغاب هنالك الرسول سنة ثلاث وخمسين وما بعدها إلى عام سبع وخمسين وألف، ثم إن الملك المذكور عاود مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله -رضوان الله عليه- بكتاب آخر وهدية أخرى، واستعجل الرجل المطلوب وصوله إليه، وذكر في كتابه معناه أن المهاداة بالمال هي نفس المطلوب، وإنما هي تبع للوصول إلى نيل الغرض بإرسال الرجل الذي أستدعينا وصوله، وقد كان سبق قبل هذا وفاة حي أمير المؤمنين مولانا المؤيد بالله ومصيره -رضوان الله- وما عند الله خير للأبرار، فلما وصل رسول الملك إلى بعد أطراف الحبشة، وبلغه خبر وفاة مولانا الإمام -عليه السلام- وأرسل إلى الملك يرفع إليه ذلك، ويعلمه بما بلغ إليه، فرجع له الجواب أن ينفذ لما أمر به، وجعلوا كتاباً إلى مولانا المتوكل على الله-أيده الله- في شهر [.....]من عام سبع وخمسين وألف سنة، وكان خروجه إلى بندر (المخا) وجاءت طريقه بطن تهامة من جانب مدينة (زبيد)[٨٠/ ب]-حرسها الله تعالى- ثم على مدينة (مور) و(الأمروخ) ونفذ إلى (هجر الأهنوم). ووصل إلى إمامنا سلام الله عليه إلى حصن (شهارة) المحمية، ومستقر الأئمة، وعمدة معاقل الزيدية، فأعظم مولانا -أيده الله تعالى- أمره، وأكرم مثواه، وأحسن نزله، فاطلع

على كتبه وعرف ما استدعاه الملك من وصول رجل يفيض إليه بسر لا تحمله بطون الأوراق، ولا تطيب نفسه أن يفضي إلى رسوله، لما يخشاه من الحاسد، ويخالطه من الإشفاق، وكان في ما لا يخفى من الإجمال، والتسبب لأن تتعلق به عظائم الآمال، فاختص مولانا -عليه الصلاة والسلام- بذلك الرسول في بعض مجالسه الخالية، وسأله عما في كتاب الملك، وهل عنده ظن بمراده من ذلك، فقال: الذي يبلغ إليه ظني أنه يريد الإسلام، فلما قال ذلك سر به مولانا -عليه السلام- ولمعت أسارير وجه المضيء، وأنبسط نشاطاً خلقه الرضي، وأسرَّ في نفسه أن هذه نعمة جليلة، وأمر عظيم يتوصل إلى تمامه بكل حيلة، ثم التفت بعد ذلك إلى مشاورة أهل حضرته، واستنصاحهم في ذلك، وما الذي يتوجه فيه الرأي، فاتفق نظر كثير من أهل الفضل، وأرباب القول الفصل، أن إجابة هذا الملك إلى وصول رجل تجب قطعاً، ويتوجه لزومها شرعاً، حيث يعلق الطمع بإسلامه، والإنخراط في سلك هذا الدين ونظامه، فإنه يجب إجابة من نظن فيه، ولو لم يرج إلا صلاحه في نفسه، كيف والمعلوم من طريق العادة أنه يتبعه الجماهير، كما ثبت في قضية العقل وحدسه، وقد وقع في ذلك الرأي من بعض أهل النظر، استناداً إلى ما ثبت لديهم بالفكر وتقرر، وهو أن هذا

الملك الثابت في تخت ملكه، المتقرر لديه أباطيل شركه وزخارف إفكه، لا يغلب على الظن أن هذا المنهج قصده، ولا تحدى فيه عيسه ولا يوري فيه زنده، فأطرح هذا الرأي لما كان القايل به القليل، والترجيح بكثرة الرجال دليل وأي دليل، لا سيما وقد طابق ذلك رأي صاحب الحل والعقد، والإبرام والنقض، المهتدى بهداه، الذي يقصر كل نظر في مصالح الدين عن منتهى نظره ومداه، مولانا أمير المؤمنين -أيده الله تعالى- بمواد التسديد والنصر المبين، مع الإستظهار

بذلك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لأن يهدي الله رجلاً على يديك خير لك مما طلعت عليه الشمس)) وليس الطريق إلى إمكان الهداية إلا الظن، فأستقر الرأي على وجوب إجابة الملك إلى وصول رجل إليه، يبحث عن سره، ويطلع على حقيقة أمره، وكنت في تلك السنة في سفر الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة الضريح النبوي على صاحبه وعلى آله أفضل الصلاة وأشرف السلام[٨١/ أ]، وكان من فضل الله عليَّ أن هذه الحِجة هي الثالثة، فلله الحمد على ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

ذلك منها بفواتها من أيدينا، ولم يخطر بالبال رقمها إلاَّ بعد الذهاب، وقد كان مولانا -أيده الله- أودعنا ما اقتضاه حسن نظره، وكمال تدبيره وهو أن قال: إذا انتهيتم إلى هذا الملك أظهرتم له هذه الرسالة الظاهرة المتظمنة الجواب عليه وذكر الهدية، وأخرتم الرسالة الأخرى حتى تجتمعوا به في موقف خال، وهو لا بد يفيض إليكم ما عنده من الخير الذي يريد إلقاءه، فإن وجدتموه يريد ذلك الأمر الذي يعلق به للأمل، وأنه يريد الدخول في ملة الإسلام المشرفة على ساير الملل، دفعتم إليه الرسالة الأخرى، وخضتم معه في ذلك على ما تقتضيه الحال سراً وجهرا، وإن وجدتموه تائهاً في ضلالته، سادراً في ظلمات جهالته[٨١/ ب] لا سبيل إلى ولوج النصيحة في لبه، ولا طريق إلى تقرير ذلك في قلبه، أعرضتم عنه صفحاً، وطويتم عنه كشحاً، والحاضر يرى ما لا يراه الغايب، والحازم من نفعته النصايح وأفادته التجارب، واعتمدنا هذه الوصية النافعة، ووجدناها ولله الحمد لأسباب الرشاد والخير جامعة، ذكر ابتداء السفر وتوجهنا من حضرة الإمام -عليه السلام- في غرة جمادى الأخرى مقدمين ما بين يدي ذلك حسن التوكل، وخالص التوسل، والمبالغة بتقوى الله عز وجل، وتعليق النية بطاعته وطاعة خليفة الإمام

الأجل؛ فإن ذلك أبلغ ما يستعان به على نجاح المقاصد الصالحة، ونمو متاجر الخير الرابحة، كما قال تعالى{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} وكان في ولما رجعنا من ذلك السفر الميمون ووصلنا إلى الحضرة المولوية -أعزها الله تعالى- في غرة شهر ربيع الأول من تلك السنة المذكورة، وهذا الخبر شايع أمره، ذايع سره، كنت ممن تشرف بالمفاوضة فيه من مولانا أمير المؤمنين -أيده الله تعالى- وكنت أجبت بما ظهر لي من النظر، وسنح لديَّ من خاطري الظن الذي حضر، مما يطابق رأي الأكثر، وكان مولانا -أيده الله- يحرر النظر في تعيين الرجل الذي يتوجه إلى تلك الديار، ويدبر في ذلك جلايل الأنظار؛ ولا أدري هل وجه نظره قبل التعيين عليَّ إلى غيري أم لا، ثم إنه -أيده الله تعالى- أراد أن يخصني بفضيلة هذه العزيمة، ويقلدني القيام بهذه الفريضة العظيمة، وعلمت أنه -أيده الله تعالى- قد أدلى إليَّ بحسن ظنّه، وأن ذلك من فضل الله عليَّ ومنّه، فأجبته إلى ذلك، وسألت الله عز وجل أن يرفع لنا أنوار هذه المسالك، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ثم إن مولانا -أيده الله تعالى- أخذ في تعيين هدية فاخرة، وعارفة تليق بمقامات الملوك، ومكارمه الظاهرة، منوعة أنواعاً، وأسنى من هدية الملك إليه وأطول باعاً، من خلع الديباج العجيبة، ومطارف الملوك السنيَّة القشيبة، والسيوف القاضبة القاطعة، والدروع القاضبة السابغة، والبنادق الفاخرة البالغة، مع شيء من آلات الخيل النفيسة، والأتراس المناسبة لكل حضرة رئيسة، ولما استكمل -أيده الله تعالى- ما يريد من ذلك أمر بإرسال رسالتين، إلى الملك عظيمتين، كنت أحب إثبات ألفاظهما في هذه الجملة إلا أن إحداهما ذهبت بحريق النار الذي سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، والأخرى التي وصلت إلى الملك فاتنا

صحبتنا جماعة ممن تليق مصاحبتهم في السفر من الشيعة والعسكر، أهل الصبر والرعاية، والمروءة والحماية، وقدر اثنين وعشرين نفراً، فيهم نحو اثنى عشر بندقاً، وكان مرورنا على السيدين العظيمين، والرئيسين المكرمين، عز الملة والدين وجبل العلم والحلم الشامخ الحصين، وصفي الإسلام والمسلمين، وسيف الحق المنتضى على أعداء الله المفسدين، محمد وأحمد ابني الحسن بن أمير المؤمنين -حفظهما الله تعالى- وهما إذ ذاك بمحروس مدينة صنعاء -حرسها الله تعالى وعمرها بأهل الإيمان والتقوى.

وكان هذا الرسول الواصل من الملك استصحب إليهما كتابين، وما تيسر من الهدية، فأجابا عليه ووجها إليه ما تسنى من الهدية مضافة إلى هدية مولانا أمير المؤمنين -أيده الله تعالى- وكانت هدية من أسنى الهدايا، وعطية من أجل العطايا، واستقبلنا السفر المبارك على تيسير الله وتدبيره وهو الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد، ولا يجمعهما غيره؛ لأن الصاحب لا يكون خليفة والخليفة لا يكون مستصحباً.

ولما انتهينا إلى بندر المخاء -حرسه الله تعالى- وكان مولانا -أيده الله تعالى- قد أمر النايب فيه بتجهيز جميع العسكر المحافظين في البندر بأعظم ما يكون من الإعداد في المراكب لما يتوهم أن يعرض من الأتراك -أذلهم الله تعالى- وتلقيهم من بندر سواكن وبندر مصوع، ففعل نايب المخاء بما أمر به، وتجهزنا من هنالك في نصف شعبان من تلك السنة المذكورة، وكان جملة سفرنا في البحر يومين فقط، والمسألة مع استواء الريح أقرب من ذلك بأنها قد تقطع في يوم واحد.

ولما وصلنا[٨٢/ أ] إلى بندر بيلول وكنا استصحبنا إلى السلطان شحيم بن كامل الدنكلي صاحب بيلول كتاباً من نايب المخاء، لما بينهما من الإتصال وحسن المعاملة، وجميل المواصلة،

وكان هذا السلطان المذكور غايباً حين وصلنا إلى بندر بيلول، فراسلناه حتى وصل، وكنا قبل وصوله ضاربين خيامنا في مكان خارج البلد بينها وبين البحر؛ لأنا كنا من أهل البلد تشوشاً من وصولنا فبقينا هناك حتى وصل سلطانهم شحيم بن كامل المذكور، وقد كان خرج في صحبتنا جماعة من تجار الحبشة.

ولما وصل السلطان شحيم بن كامل تلقانا بالكرامة، وسني الضيافة، واطلع على أخبارنا، وعلم أنا نريد الوصول إلى ملك الحبشة، وكان هذا السلطان شحيم له اتصال بملك الحبشة؛ لأنه إنما نشأ في ديار الحبشة، وله هناك أهل وأولاد والملك يعده من خاصته وأهل بطانته كما هي قاعدة من هنالك ممن يدعي الإسلام وليس له منه إلا نفس الاسم الذي لا يترتب عليه من الأحكام، كما سيأتي تحقيقه في ما يعرض من ذكر من يطلق عليه اسم الإسلام هنالك إن شاء الله تعالى.

ولما اجتمعنا بالسلطان شحيم وفد معه من رجال البدو المتصلين بذلك المحل خلق كثير، منكرين الصور، خالين عن التحلي بشيء من أحكام الشرع الشريف المطهر، وذلك لما شاهدناه من اختلاط رجالهم بنسائهم وكلهم عراة لا يسترون عوراتهم، ولا يتسترون بمنكراتهم، كان المنكر عندهم من المعروف والبدع لديهم من الأمر المأنوس المألوف، ولسانهم أعجمي بلغة تخصهم ليست من لغة الحبشة فكنا إذا خاطبناهم نفتقر إلى ترجمان وقليل معنا من يعرف لغتهم كل المعرفة إلا من كان منهم يتصل ببندر المخاء فإنه ربما عرف اللسان العربي، وكل من يجي إلينا من هؤلاء البدو المذكورين يريدون مجرد الإطلاع ومعرفة هؤلاء العرب الوافدين، فإذا وصلوا

إلينا جعلوا ينظرون إلينا من بعد، وهم يتعجبون بالنظر إلينا، ونحن بالنظر إليهم أعجب {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً} .

ولقد حكى لنا بعض العارفين بأخبارهم أن كبيرهم الذي يقتدون بأقواله متزوج بإثني عشر امرأة وغيره مثل ذلك على ما ظهر لنا ممن يعرف أحوالهم، ومع هذا فإنهم يريدون الإطلاع على أحوالنا والتجسس عليها، وهل يمكنهم الوقوف لنا على الطريق التي نمر فيها، والوصول إلى شيء مما في أيدينا، أو غير ذلك مما يفعله[٨٢/ ب] المحتربون والأكراد المختطفون من الفساد.

وكان من فضل الله علينا وما أمد الله به إمامنا -عليه الصلاة والسلام- من حسن النظر، وكمال الرأي، استصحاب البنادق، فإنها من صنع الله وبركة مولانا -أيده الله تعالى- دفعت عنا المكروهات، وكانت لنا مع عون الله من أعظم المعونات، ولقد كانوا يعجبون من رمي البنادق غاية العجب، وأحسب فيما ظهر لي أنهم يعتقدون أن صاحب البندق إذا رمى يتمكن من متابعة الرمي من غير انقطاع ولا تخلل وقت بين كل رميتين، ونحن مع هذا التوهم نوهمهم صدقه ونحرص ألا يظهر لهم خلافه، فما يزالون يتحدثون بذلك وينقلونه لأصحابهم بالأخبار المتداولة حين شاع ذلك فيهم وذاع، وملأ القلوب والأسماع، ثم إذا بقينا في بيلول هذا نحو الشهر، نلازم صلاة الجمعة والجهر بالخطبة لمولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين -أيده الله تعالى- وصمنا هنالك شهر رمضان المعظم وخرجنا لصلاة العيد، والسلطان شحيم معنا بجمعه وأصحابه ناشرين الأعلام، مظهرين شعاير الإسلام، وصلينا في جبانة البلد، وخطبنا كذلك خطبة العيد المأثورة مع ذكر الإمام -عليه السلام- والدعاء له جهراً على رؤوس الأنام.

ثم لما كان العيد المذكور بنحو ثمانية أيام توجهنا من بيلول وفي صحبتنا هذا السلطان شحيم بجماعة من أصحابه نحو ثلاثين نفراً فقط، وأهل القافلة من الجيوش يبلغون كذلك ثلاثين نفراً، وسبب هذا التحير في بيلول أن هذا الطريق كثير الأخطار من كل وجه، منها أنها مفاوز منقطعة عن الماء، وإنما يعرف المياه الدليل الماهر والعارف الخابر، وقليل ما هو، لعدم الإختلاف فيها، ثم إن أهل الأمانة فيهم قليلون، فإن الدليل إذا شاء سلك بالناس حيث لا يوجد الماء فإن شاء أهلكهم وإن شاء تحكم في أموالهم بما يريد. ومنها: الخوف من هؤلاء البدو المتصلين بهذه الطريق. ومنها: الخوف الأعظم من القالة -أبادهم الله- لإمكان وصولهم إلى هذه الطريق، فأحتجنا إلى المبالغة لنفي المخاوف وسد أبوابها، ومراسلات كبار البدو من السلطان شحيم، وبذل الأموال لهم.

وبعد أن قررت هذه الأمور بحسب الظن وقدر الإمكان، توجهنا في ذلك الوقت من بيلول في أرض مستوية كثيرة الأشجار نحو مرحلتين، ثم دخلنا بعد ذلك في أودية بين جبال عالية[٨٣/ أ] وفيها ماء جار، وفي هذا المحل جاء إلينا من أخبار البدو أنهم يريدون غزونا في تلك الليلة، فأمرنا الناس في تلك الليلة بالإحتراس، وأن يكونوا على أهبة، فكان من عجايب الإتفاق، أنها جاءت في أربعة فيلة في تلك الليلة، فأدركها الحرس وسمعوا حسها في ذلك الوادي، ففزعوا منها فاجتمع الناس بعضهم إلى بعض، ثم تبينا الأمر فإذا هو تلك الفيلة، فرمت عليهم البنادق فسمع أولئك البدو رمي البندق، فأرهبهم وأرعبهم وفرق شملهم، وبدد جمعهم، ولقد أخبرنا رجل ممن بلغ إليه حقيقة أمرهم أن قدر الجمع الذين كانوا قد اجتمعوا لذلك خمسمائة رجل، فسبحان الملك القدير، الذي حالت قدرته بينهم وبين ما أرادوه، واتصل

بعد ذلك سيرنا وتوالت أيام سفرنا قدر اثنتي عشر مرحلة، حتى وصلنا محل يسمى (عين ملى) وهذا المحل وما بعده أعظم خطراً وأكثر مخافة لقربه من القالة -أقماهم الله تعالى وقطع دابرهم- وحال ذلك الوادي من الوحشة وعظيم المخافة، كما قال شحيم بن وثيل شعراً:

مررت على وادي السباع ولا أرى .... كوادي السباع حين يظلم واديا

أقل به ركب أتوه بآيةٍ .... وأخوف إلاَّ ما وقى الله ساريا

تنبيه: اعلم أن هؤلاء القالة أمة شديدة البأس، متينة المراس، كثيرة العدد، مديدة الأمد، إذا توجهوا للحرب على أحد من الناس من الكفار وغيرهم كالمسلمين في جهة مدينة (أوسة) وما إليها فقد يبلغ عددهم نحو مائة ألف أو ما يوازي ذلك، ثم إنهم مع هذا أهل قوة في أبدانهم، وصبر على طول الأسفار واحتمال المضار، ولقد حكى لي من له خبرة بأحوالهم أن الرجل منهم إذا صرخ بأعلى صوته عند ملاقاة الحرب وسمع ذلك بعض الكفار من النصارى انفلق قلبه فيموت من نفس الصوت، وعلى الجملة إن هذه الأمة رأيت أوصافها تلحق أوصاف التتار، في ما نقله عنهم أهل التواريخ والأخبار، ومنهم مسلطون على نصارى جهة الحبشة من جميع جهاتهم، وأطراف بلادهم، لم تجد جهة من جهاتهم خالية عنهم، وأكثر السبي إنما يكون بأيدي هؤلاء القالة وهو من غيرهم نادر. انتهى.

رجعنا إلى ما نحن بصدده ثم أقمنا في هذا المحل المسمى (عين ملى) قدر شهر كامل، وقد كان هذا السلطان شحيم قدم رسولاً من هؤلاء البدو إلى بعض أمراء ملك الحبشة المتولي على أقرب قطر إلينا من بلاده يخبره بقدومنا، وأنه يتلقانا إلى محل معين قد عينه له، بمن أمكنه من

جموع النصارى، وهذا الكتاب قد كان سبق من أيام إقامتنا في بيلول، ورجع جوابه[٨٣/ ب] إلى هذا المحل المسمى (عين ملى) وبعد رجوع الجواب عليه أظهر المسرة العظيمة، وضرب عليها بالنقارة، واجتمعوا للعب الذي يعتادونه عند حصول المسار، وأراد بذلك السلطان شحيم تبشيرنا وادخال المسرة علينا، وتهوين الشدة، وتخفيف أثقال المخافة.

ثم بعد ذلك أمر السلطان شحيم بالرحيل، فارتحلنا وهو في صحبتنا وسار معنا بعد ذلك قدر خمس مراحل، ثم إنه أشعرنا أنه يريد الرجوع من هنالك؛ لأنه إذا جاوز ذلك المحل لم يتيسر له العود منفرداً بأصحابه خوفاً على نفسه ومن معه؛ لأنه في التحقيق لايتم له السلوك في هذه الطريق، إلا مع انضمامه إلينا، وتقويه بقوتنا التي أمدنا الله تعالى بها وألقاها في قلوب الناس فضلاً منه ونعمة علينا، ثم إنه جمعنا نحن وأهل الحبشة الذين في القافلة، وأخبرنا أنه يريد أن يجعل معنا من يدلنا على الطريق، ويجنبنا مخاوفها وأخطارها، وكان هناك ثلاث طرق:

إحداهن ظاهرها الأمان من القالة، والثانية: تجوز المخافة منهم، والثالثة: مقطوع بخوفها وخطرها؛ لكونها في جانب القالة وبين مراعيهم ومخاليفهم، فأختلف رأي أهل الحبشة في الطريق، فرسول الملك الواصل بكتابه إلى الإمام -عليه السلام- يريد سلوك هذه الطريق المأمونة، وإن كانت بعيدة المسافة، وساير أهل الحبشة يريدون سلوك الطريق الوسطي مع تجويز بعض الخوف، وكلهم لا يريدون سلوك الطريق الثالثة، فقال السلطان شحيم: نجعل لكل فريق منكم دليلاً يدله على طريقه التي يريدها، فطلب لنا رجلاً جمع بيننا وبينه، وأخذنا عليه عهداً أنه لا خاننا ولا غدرنا، ولا سعى لنا في ما فيه ضررنا؛ ولأهل الحبشة رجل آخر كذلك، ثم قال: أما بعد ذلك يكون مسيركم أنتم وأهل الحبشة مرحلتين مجتمعين، ثم تفترقون بعد ذلك، فدليلكم

يدلكم على هذه الطريق المتوطأ عليها، وأهل الحبشة في طريقهم كذلك، فقلنا له وللدليل: هل بقي بعد ذلك المحل أحد من البدو نخاف اعتراضه لنا في الطريق ونطلب منه الصحبة أم لا؟ فقال السلطان شحيم وهذا الدليل المذكور: ليس بعد هذا إلا أرض مقفرة حتى تصلوا أرض الحبشة، فودعنا السلطان شحيم وأصحابه في ذلك المحل، وعزمنا على سيرنا في ذلك الدليل، وكنا جميعاً نحن وأهل الحبشة بناءً منا أنا لا نفترق عليهم إلاَّ بعد يومين كما ذكره السلطان شحيم، فاستمر بنا السير ثلاث مراحل متوسطة ليست بالكبار ولا بالصغار، وانتهينا إلى جنب جبل عظيم أبلغ ما يكون من العظم في الإنبساط والإرتفاع[٨٤/أ] ووجدنا هنالك بحيرة يتصل ماؤها بذلك الجبل، وبجبال أخر من أطرافها، ماؤها مالح زعاق، وطولها

وعرضها مستويان، وقياسها بالمساحة نحو بريد كامل أو يزيد عليه قليلاً في ما يغلب به الظن، فلما وصلنا ذلك المحل رأينا من الدليلين مساررة في القول، وأدركنا منهما دلائل الخيانة، فطلبنا دليلنا ولاطفناه في العبارة، ومهدنا له في القول، لعلمنا أنه قد صار المتصرف بنا كيف شاء، فلم يجب علينا بجواب تطيب به نفوسنا، وإنما هو يغالطنا ويماطلنا فتحيرنا في ذلك المحل ثلاث ليال، على مافيه من عظم الوحشة، وكثرة السباع في الليل، وخوف القالة، في ذلك المحل -وما بعده- كنا إذا أردنا إيقاد النار تخلينا في سترها عن جانب القالة، إما بمكان مطمئن أو بأن نجعلها جنب صخرة أو نحوها؛ لأنهم يرون النار فيغزون عليها، ويترصدون المسالك، فلم نشعر ونحن في خلال هذه الإقامة جنب ذلك الجبل، إلا وقد انصب علينا من أعلاه ثمانية أنفار، فوصلوا إلينا واجتمعوا مع الدليلين في جانب منا يتشاورون في الحديث يضمرونه من السر الخبيث، وأظهروا لنا أن هذه البلاد بلاد هؤلاء القوم، والتصرف لهم فيها مثل غيرهم من

البدو الذين مررتم عليهم، وهم يحتاجون إلى صحبة، ويعزمون مع القافلة، فقلنا لهم: أليس قلتم لنا: إنه لم يبق أحد في هذه الطريق ممن نخاف اعتراضه وتحكمه فينا. فكيف ظهر لنا خلاف قولكم؟ فقالوا: ما شعرنا نحن بهم إلاَّ حين وصلوا، فكان حدوث ذلك علينا وعلى أهل القافلة أعظم الخوف، خشية أن يفضي بنا الحال إلى غير ذلك بعد أن ظهر لنا خيانة الدليلين، وأنهما لا أمانة لهما، فصرنا في حيرة عظيمة، لا يُطلب في تفريجها إلا الله عز وجل، ولا نرجو غيره لذلك الحادث الذي نزل، ولم نجد بداً من

تسليم ما تيسر من المال لأولئك الجماعة. ثم ارتحلنا نحن نسألهم عن الطريق التي نريد سلوكها، فما رأيناهم سلكوا بنا طريقاً واحدة، فتركنا سؤالهم عن ذلك، وشغلنا عن التفكير في ما ينتهي إليه حالنا مع هذين الرجلين الخاينين الناكثين، فإنما نحن نظن إنما نساق إلى الموت، وكنا في سيرنا نتوجه إلى ما بين القبلة وجهة الغرب، فرأينا لجهة التي مالت بنا جهة الغرب مقابلة، ثم بعد ذلك مالوا عن المغرب قليلاً، فعلمنا أنهما قد تاها بنا في غير الطريق المقصودة، وأنهما قد عزما على الخيانة ونكث العهد، وقد كانا قدما إلينا من القول، أن نحمل الماء لمسافة يومين، فلما انتهينا[٨٤/ ب] في هذه المرحلة إلى المحل الذي فيه النزول، وكنا نحن في أعقاب القافلة والدليلان في أولها، فوصلنا، وأهل الحبشة قد توثبوا على هذين الدليلين، وأولئك الجماعة الذين معهم وقالوا لهم: قد غدرتمونا وهذه الطريق التي نحن نفر منها، وهذه محال القالة ومراعيهم، فلم يجيبوا عليهم، إلا أن قالوا: أما غير هذه الطريق فليس فيها شيء من الماء، فلم نرجع بعد ذلك إلاَّ إلى الله عز وجل والتوسل إليه ببركة إمامنا -عليه السلام- فهو ما به نتوسل، واختلف الرأي بيننا وبين أهل القافلة بما لا تسعة هذه الكراسة، وقطعنا بحصول الهلاك، إما

بالعطش، أو الجوع لنفاد الزاد، أو بأيدي القالة ونحوهم، فأصبحنا ذلك اليوم نسير في تلك الطريق، وقد كان أمير الملك الذي سبق إليه كتاب السلطان شحيم قد أرسل رسولاً يقف في أعلى جبل عال يستطلع أخبارنا، وهل يرى ما يدل على ظهورنا من أي جهة، إما بظهورنا أو غيرها، وقد أعدَّ ذلك

الرسول زاده معه وصار ينتقل في جبال تلك الأماكن، وقد أدرك ظهور النار في شاطي تلك البحيرة التي قدمنا ذكرها من رأس جبل عال على قدر مرحلتين للبريد، ومعم جماعة قد استصحبهم ممن يخالط القالة، وهذا الرجل خبير بتلك القفار معاود في التسيار، يستحق أن يقال في المثل الساير (أهدى من دعيميص الرمل) فأصبحنا ذلك اليوم إلى واد فيه ماء جار، وهذا الوادي ترعى فيه القالة في أكثر أحوالهم، إلاَّ أنهم كانوا في ذلك الوقت في جانب بعيد عنه، بسبب أنهم في العادة يتنقلون في مواشيهم لطلب المرعى، ولما أراد الله عز وجل لنا من السلامة، فلما رآنا هذا الرجل دخلنا الوادي انحدر إلينا من الجبل بمن معه، ولما أبصرنا به منصباً إلينا فزعنا منه، واعتقدناه عدواً يريدنا فتأهبنا للقافلة، وأمرنا أهل البنادق بإحضار أنفسهم فرأينا أحدهم قد انفرد قبلهم يشتد إلينا، ويتكلم بلسان الحبشة، فعرف قوله من كان من أهل الحبشة، وعلموا أنه رسول ذلك الأمير، فقالوا لنا: البشارة هؤلاء أصحابنا، فكان ذلك لنا من بعد الفرج الشدة، ثم إنا ما شعرنا بهؤلاء الجماعة الذين خانونا إلاَّ وقد انسل بعضهم هارباً، ولم يبق منهم إلاَّ رجل فأسره أهل الحبشة، وربطوه، وقالوا: تأخذوا منه الذي قبضه، فلم نستحسن منه ذلك، وأبقينا عليه لأجل ما نخشاه من العودة في هذه الطريق، وأن تكون عاقبة المضرة عايدة علينا.

ولما وصلنا هذا الماء في ذلك الوادي، وشربت منه مواشينا هلك بعضها لانقطاع بطونها من كثرة الماء الذي شربته، ثم أن هذا الرجل الذي[٨٥/ أ] وصل إلينا أخبرنا بأخبار سارة، وهي أن الأمير الذي بعثه أمره أنه متى اتفق بنا بعث إليه رسولاً يعلمه ليتلقانا بعسكره، ففعل كما أمره، وأمرنا بسرعة الإرتحال من ذلك المحل، وأمر أصحابه أن يكونوا في أعالي الجبال من يمين وشمال ليكونوا عيوناً، وأحسن التدبير فينا، وكان ينزل بنا في أماكن حصينة لا يكاد يرتقيها القالة إن الذي يلوذ بالجبال لا يطلبونه ولا يعبأون به، وإنما يأخذو من وجدوا في سهول الأرض، فكان ذلك الخبر عنهم يؤنسنا، ويشد عزيمتنا مع حسن التوكل على الله عز وجل، وما نحن عليه من اليقين والإلتجاء إليه، والإعتماد عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وإلاَّ فإن الحال أعظم وحقيقته مما لا يضبطها القلم، واستمر بنا السير في صحبة ذلك الرجل ومن معه قدر أربع مراحل، ثم اجتمعنا بهذا الأمير المذكور المسمى بلغتهم (أحد أنسبة) ومعنى هذا الاسم واحد الأسود هذا اسمه العلم، ولقبه بعل جادة وهذا اللقب يتسمى به كل من يتولى ذلك القطر من قِبَل ملك الحبشة.

ولما وصلنا إليه وجدناه متعلقاً بجبل صعب المرتقى، فلما رءآنا انحدر إلينا واجتمع بنا في بطن الوادي، وضرب فيه خيمته، واجتمعنا به فيها، ولما ضربت البنادق وفيها الرصاص وكان لها صوت عند خروجها هالهم ذلك، واستعظموه، ولقد رأيناهم مع جمعهم العظيم إذا ضربت البنادق انحطوا برؤسهم راكعين إلى الأرض، ولما وقعت أبصارنا عليهم رأيناً صوراً قد أذلها الله عز وجل، وألبسهم لباس الصغر، وهم ينظرون إلينا كالمبهوتين، يتسللون تسلل الأذلين، كأن السلطان لنا عليهم، وهذا الأمير رجل أشيب، مكشوف الرأس على قواعد أهل الحبشة، مطول

الشعر والأظفار، أشبه شيء بكبار القردة، غير أني رأيته بعد أن عرفت حال غيره أحسن أهل الحبشة رأياً، وتدبيراً، وصبراً، وسياسة، وقد كان استصحب معه من الطعام المصنوع، والدقيق ما تقضي من حاجة الناس، فأمر إلينا بذلك، ثم قال: يأكل الناس من الطعام الحاصل، ولا يصنعون شيئاً من الدقيق، لأن الإقامة بمقدار الأشغال بمعالجة الطعام خطر عظيم، ففعل الناس ذلك وأسرعوا في الإرتحال، ثم استمر سيرنا صحبة الأمير (بعل جادة) قدر خمس مراحل، حتى وصلنا أول بلد من بلد الحبشة، وهي قرية بين جبلين عظيمين عندها نهر عظيم، يسمى (وسمة) -على وزن زنمة- في ولاية هذا الأمير المذكور[٨٥/ ب] وهي طرف بلاده، وثغر من ثغورها عليهم إلتزام حراسة القافلة في كل شهر عشرة أنفار، يتناوبون في جبل يسمى (كحل)؛ لأنه على مسلك القالة لا ينفذون إلى بلاد النصارى من غيره، فإذا علم هؤلاء الحرس بتوجه القالة تولوا إلى قومهم منذرين فيلوذون بالهرب إلى رؤوس الجبال ويخلون بينهم وبين بيوتهم، وما ثقل من الأموال.

تنبيه: اعلم أن هذه العبارة السابقة لم تشتمل على ما لا ينبغي إغفال ذكره من صفات هذه البلاد التي كان سفرنا إليها من (بيلول) إلى بلاد الحبشة، وما قاسيناه فيها من الشدة الشديدة، والأهوال العديدة، فأعظمها بعد الذي وصفناه من الخوف انقطاع الزاد بسبب إقامتنا الطويلة في (بيلول) ثم في (عين ملى) مع تحيرنا في غيرهما مقدار اليومين والثلاث، وهذه التحيرات ما كانت معروفة لنا في ابتداء سفرنا، نعد لها الزاد المبلغ، فاستغرقنا الزاد مع تجويزنا السفر كل يوم. ولما تقاصر الزاد وكانت هذه البلاد لا يعرف فيها وجود الطعام ولا يزرع فيها شيء من الحبوب، وإنما نفقاتهم اللبن والسمن واللحم، وكنا نحن ومن معنا لا نعد ذلك من معتاد

النفقة، على أنا قد اعتمدناه لعدم غيره حيث نجده، وفي أكثرها هو غير موجود، إلا أنا في هذه البلاد المقفرة نشتري الغنم، ونعدها معنا ونذبح منها، ولكن قل ما ينفع ذلك كنفع الطعام، ولا دفع المشقة التي أنهكت القوى، وأنحلت الأجسام، ولقد كان جماعة العسكر يتبعون ثمر الأشجار، وأكثرها نفعاً لهم ثمر الدوم المعروف بالبهش، وليس بالدوم الذي هو ثمر السدر، وكانوا يستصحبونه زاداً في بعض المراحل حيث يخشون انقطاعه، ثم بعد هذا حقارة الماء، وانقطاعه في كثير من المراحل فقد نحمله في بعضها ليومين كاملين، ولا نجده إلا في الثالث، ثم إن في خلال إقامتنا في عين ملى تلك المدة الطويلة، كانوا يأتون به من بعد على مقدار نصف البريد، حتى إن الذي يغدوا للماء بعد صلاة الفجر لا يرجع إلا وقد آن وقت الظهر، ومع هذا كله سوء

مخالطة من يخالطنا من البدو المذكورين، وما نشاهده من البدع في الدين، وكثير ما يتفق بيننا وبينهم من الأسباب، ما يثير دفاين شرهم، ويظهر معه سوء مكرهم، ولا يفزعون إلا إلى أسلحتهم ومن معنا كذلك وقع ذلك مرات متعددة لولا دفاع الله وحمايته وكفايته، فالحمد لله الذي نجانا من مكرهم، وحال بيننا وبين شرهم، حمداً يوازي عظيم نعمته، ويكافي ما نحصيه من جلايل فضله ولطفه ورحمته[٨٦/ أ]، ولا حول ولا قوة إلا الله العلي العظيم.

فائدة في تقدير مسافة هذه الأرض المتوسطة بين ساحل بحر (بيلول) وبين بلاد ملك الحبشة وقياسها -على تقدير غالب الظن- مسيرة شهر للقوافل، يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً، وفوق كل ذي علم عليم.

ثم نعود إلى ما نحن بصدده: ولما انتهينا إلى هذا المحل المسمى (وسمة) على وزن زنمة، توجهت الرسل من هنالك إلى الملك من الأمير بعل جادة ورسول الملك الواصل إلى الإمام -عليه السلام- يخبرانه بقدومنا إلى بلاده، سالمين من الأشرار، في حماية من العزيز القهار، ويستأذنونه في كيفية سيرنا في بلاده، وما يتوجه من أهل البلاد من الضيافات وغيرها، وكان ذلك في مشارف عيد الحجة الحرام من تلك السنة المذكورة. ثم تقدمنا صحبة ذلك الأمير المذكور إلى محلته ومسكنه، وقرية مستوطنه في جبل عال اسمه (حنطالوه) واسم هذه البلاد في عمومها (أندرته) وهي بلاد مستوية، كثيرة العشب، والنبات متسعة الخيرات، كثيرة العسل، ولقد كنا نشتري منه بالشقة السودي من بز المراودي ما يزيد على أربعين رطلاً صنعانياً من الشهد الأبيض الذي ما رأت العين مثله، وأقمنا في ذلك المحل أربعين يوماً، وكانت صلاة عيد الحجة فيه، خرجنا لها إلى ساحة البلد، واجتمعنا ومن انظم إلينا من المسلمين، وأقمنا الصلاة وهم ينظرون إلينا، ويتعجبون مما نحن فيه، كما نتعجب مما هم فيه، ووصل إلينا إلى ذلك المحل الفقهاء (آل كبيري صالح)، عرفوا بهذا الاسم وهو اسم تعظيم، يسمون به الرجل المعتقد، وكان بأيدينا كتاب إليهم من مولانا أمير المؤمنين- أيده الله تعالى- وكسوة سنية فاخرة لايقة بحال أمثالهم، فدفعنا إليهم الكتاب وسلمنا إليهم تلك الكسوة، ورأينا عليهم سيما الصلاح، ونور الإسلام، فسررنا بهم غاية المسرة، وكان بعضهم يعرف لسان العرب، فما برحنا نسألهم عن أمور نحتاج إلى معرفتها ونستعين بعلم حقيقتها، ووصل معهم

رجل آخر اسمه (كبيرى خير الدين) له معرفة جيدة بمذهب الشافعي

-رضي الله عنه- وهو أفقه من (آل كبيري صالح) وهم أشهر منه في تلك الجهة، [لعلو منصبهم وهم جميعاً على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه].

ولما مضى أربعون يوماً إقامة في ذلك المحل، رجع جواب الملك صحبة رجل من أهل خدمته وصحبته خمسة أنفار، حين عرف الأمير بعل جادة بوصول رسول الملك أنه صار في طرف بلده، خرج إليه متلقياً له على قواعدهم في رسل الملك أنهم يتلقونهم هكذا، ويقرأون الكتب في المحل الذي يلقونه فيه، فقرأ كتاب الملك وهو قايم، ثم رجع ووصل إلينا يخبرنا بما قاله [٨٦/ ب] الملك في كتابه، وما أمر به وغيره من أهل الطرقات من إكرامنا، والقيام بما يتوجه من حق الضيافة لنا، والصحبة في الطرقات في الأماكن المخوفة، فشكرنا ذلك الملك وأحسنا مخاطبة رسوله بما يليق بذلك المقام، ثم إن الأمير بعل جادة صاح بأهل بلاده، أن يصلوا إليه بما نحتاجه من الظهر لحمل أثقالنا، فسارعوا إلى ذلك، وتوجهنا للوصول إلى الملك، كان سفرنا حتى خرجنا من بلاد (أندرته) ثلاث مراحل، ثم وصلنا إلى بلاد (السحرت) وتلقانا أمير تلك البلاد رجل اسمه (إسحاق) واجتمع الأمير المسمى إسحاق بالأمير بعل جادة، وكان قد وصل إلينا رجل في بلد بعل جادة، ودخل في دين الإسلام فقبلنا منه ذلك، واعتقدنا أنه يتكتم أمره، فظهر خبره، وكان أصحاب بعل جادة حاولوا الأخذ عليه بالرجوع إلى دينهم، فمنعهم بعل جادة وقال: هو باختياره إذا أحب الدخول في دين الإسلام فلا نعترضه.

فلما وصل الأمير بعل جادة محل هذا الأمير المسمى إسحاق، سأله عن شأن هذا الرجل الذي أسلم، وقال لبعل جادة: كيف تترك هؤلاء يغيرون ديننا؟ مثل هذا لا يحسن ونحن عازمون على قبض هذا الرجل الذي خرج عن ديننا وقتله، فأجاب عليه الأمير بعل جادة بجواب أهل

العقول الراجحة والآراء الناصحة: ألقى الله ذلك في قلبه وقذفه في لبه، فقال له هؤلاء العرب: أهل مروءة وأهل نجدة وشهامة، يرضيهم القليل، ويغضبهم القليل، وما أظن أنهم يتركون هذا الرجل الذي دخل في دينهم يصل إليه مكروه، لو ذهبوا عن آخرهم، وأي فائدة لنا ولك بمثل ذلك والإساءة إلى أضياف الملك، هذا معنى جوابه الذي سمعه بعض من كان متعلقاً بخدمتنا من أهل الحبشة، بينه لنا باللسان العربي، فكفه بذلك وأذله الله عز وجل، ثم إن هذا الأمير ببلاد السحرت أمر أهل بلاده كذلك بالحضور لحمل أثقالنا، ثم طلب منهم جيشاً عظيماً لصحبتنا في الطريق؛ لأجل الخوف فحضر منهم نحو ألفي رجل بالحراب والخيل، وتوجهنا من بلاده فسار بنا نحو خمس مراحل حتى اتصلنا ببلاد (أبرقلي) وهي بلاد وعرة، وجبال عالية، وأوهاط منخفضة، فتلقانا أمير هذه البلاد رجل اسمه (قباقسطوس) فسارع بتجهيزنا من بلده لحقارتها، وارتحلنا منها وسار بنا سيراً متصلاً، ومراحل متسعة، قدر سبع مراحل، كلها خايفة، وله عيون يسيرون معنا في روؤس الجبال، ووجدنا بين هذه الجبال نهراً عظيماً من آيات الله الباهرة، تلحق حكمه بنحو نيل مصر وسَيحُون وجَيْحُون، وفيه حيوانات البحر العظيمة، ولقد[٨٧/ أ] وصلنا إليها وظهر لنا شيء كالقبة العظيمة، بين الماء في جانب النهر، فخيل

لنا أنها صخرة، فلما وصلنا إليها وجدناها حيواناً ميتاً يقال له: فرس البحر، الله أعلم ما عرض لها فأهلكها، وهي في الكبر والعظم ما لا أعرف له نظيراً في الحيوان، وهذا النهر لا يتمكن المار منه من قطعه إلا من أمكن مخصوصة، متسعة في عرضها يتبسط فيها الماء، ثم تكون مستوية لا ينحدر فيها الماء؛ لأنه مع الإنحدار تكون له قوة، فإذا كان المكان على هذه الصفة سلك فيه المار والماء يتصل بركاب الفرس السامي، ومقدار العرض في قياس مائة ذراع، وهذا

النهر ينصب ماؤه في نيل مصر، على ما حكاه لنا بعض أهل الحبشة، فسبحان الملك القدير الذي أظهر لنا عظيم قدرته، وأرانا عجايب حكمته وصنعته.

ثم إنا بعد تمام سبع مراحل اتصلنا ببلاد (الفلاشة) أولها واد عظيم تحت جبل عال في نهاية السمو، وغاية العلو، اسم الوادي (أُغنة) -بنون قبلها غين معجمة ساكنة قبلها همزة مضمومة- والجبل (سمين) مصغراً، وهو أعظم جبال الحبشة، ولو أقول أعظم جبال الأرض لم يكن بعيداً؛ لأنه يوجد في كل طريق من طرق الحبشة، وهو شديد البرد لا يعرف مثله في شدة البرودة، لا يبرح الماء جامداً فيه شتاءً وصيفاً، وهذه البلاد عهدة ولايتها على بعض وزراء الملك، وأهل الإختصاص بحضرته، رجل منهم اسمه (دموه) وله وكلاء ونواب في البلاد، وأمَّا هو فلا يفارق حضرة الملك، وهذه القبيلة التي يسمونها (الفلاشة) قبيلة كبيرة، من أعظم قبايل الحبشة، وهم على دين اليهودية وشريعة التوراة، وكانوا من قبل خارجين عن طاعة الملك لإختلاف دينهم، وهم أهل نجدة، وشوكة عظيمة، وبسالة، فما زال الملك يغزوهم ويحاربهم ويضايقهم من جميع أطراف بلاده لإحاطة بلاد النصارى بهم، حتى غلبهم واستنزلهم من حصونهم، ودخلوا في طاعته، ودانوا له بمقالته، وجعل ولاية بلادهم إلى ولاية هذا الوزير، ودخل أكثرهم في النصرانية، ولم يبق إلا اليسير، غير أن الملك لم يعترضهم في أمر الدين، وإنما يطلب منهم الطاعة له، واستمر سيرنا في هذه البلاد حتى اتصلنا ببلاد (الأمحرة) الذين هم عشيرة الملك وكرسي مملكته، وأهل نصرته، وكان سيرنا في بلاد (الأمحرة) قدر اثنتي عشر مرحلة، وبعد تمام اثنتي عشرة وصلنا قرية قريبة من مدينة الملك أهلها كلهم مسلمون وفيها مسجد، ومكتب لتعليم صبيانهم القرآن، فاستأنسنا بذلك غاية الأنس، وسررنا بهم أكمل

المسرة، بحيث أنه سرى عنا ما ثقل على قلوبنا مما قد قاسينا من سوء مخالطة[٨٧/ ب] الكفار والنظر إليهم، وإلى منكراتهم، إلا أن الله سبحانه وتعالى يسر لي خاصة تجنب طعاماتهم المصنوعة، كما كنت أعد من الدقيق الذي يطحنه المسلمون، وأما بقية المصاحبين فإنهم اضطروا إلى أكل طعامهم المصنوع، وللضرورة أحكام.

ولما وصلنا هذه القرية المختصة بالمسلمين جاء رجل إلى الحاج سالم بن عبدالرحيم رسول الملك الذي نحن في صحبته، يخبره أن رجلين من أصحابه قد اتصلوا بوزراء الملك، وألقيا كلاماً إليهم، معناه أن الحاج سالم قد جاء في صحبته بهذا الرجل العربي وهو من أهل شريعة دين الإسلام، ويريد أن يدخل الملك في دينهم، ويغير دينكم، ويمحوا شريعتكم، وأمرنا هذا الرجل النذير بافتقاد مامعنا من كتب الإمام -عليه السلام- لئلا يكون فيها شيء مما يصدق ذلك الحديث، فجاء الحاج سالم إليَّ مبهوتاً من ذلك خايفاً مرعوباً، وقال لي: انظر في كتاب الإمام -عليه السلام- وتحقق ألفاظه، فإن وجدت فيه ما تخشى عاقبته أصلحته وحولت عبارته، وقلت فيه ما شئت فإنهم قوم لا يفقهون، فأعدت نظراً في الكتاب وهو غير مختوم، فإذا فيه من الكلام ما يجد له عذراً وإن كان فيه نحو قوله تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً} إلى آخر الآية، فكنا هيأنا لمثل ذلك عذراً إن جرى فيه المناقشة على أن قلوبنا مع ذلك ساكنة شديدة، لم نجد فيه قلقاً ولا اضطراباً، فكتمنا ذلك في نفوسنا، وأسررناه في ضمائرنا، ثم

تقدمنا ذلك اليوم إلى محل يتصل بمدينة الملك ويعد من جوانبها ووقفنا هنالك، وهؤلاء النصارى على عموم ليس فيهم شيء من المرؤة ومكارم الأخلاق التي لا يمنعها شؤم الكفر ولا

تخلت ملة من الملل من الإتفاق على أنها من صفات المحامد وخصال الأماجد، أمَّا هؤلاء القوم فرأيناهم في اللؤم وشدة البخل كأنهم جميعاً أخلاق رجل واحد، إلا أن تكون عليهم يد غالبة وسلطان قاهر، فمن جملة لؤمهم أنا بتنا في هذه القرية طاوين من الطعام، ولم ندخل أماكنهم إلا بالقهر لهم والغلبة عليهم، ثم إنا بعثنا إلى الملك رسولاً يخبره بوصولنا إلى ذلك المحل ويستأذنه بقدومنا عليه فأبطأ الرسول[٨٨/ أ] ولم يرجع إلينا الجواب إلا في آخر اليوم الثاني لبعد منال الملك وصعوبة الإتصال به وسوء معاملة وزرائه وأعوانه.

ولما رجع إلينا جواب الملك يأمرنا بالدخول إلى المدينة والمبيت في بعض بيوت الوزراء رجل اسمه (حواريا) فدخلنا بقية ذلك اليوم، وهو يوم الجمعة المباركة، سلخ شهر صفر المظفر عام ثمان وخمسين وألف سنة، فمررنا في أزقة المدينة وقد اجتمع فيها من جموع النصارى الذكور والإناث على قواعدهم في عدم حجاب النساء ما لا يعلم قدره إلا الله، ولا يحصي عددهم سواه، وذلك لما توفرت دواعيهم واشتدت رغبتهم إلى نظر هؤلاء العرب الوافدين، وكونهم شكلاً غرباً وأمراً عندهم عجيباً، فانتهينا إلى بيت ذلك الوزير الذي أمر الملك بالنزول تلك الليلة فيه، ووصلت إلينا الضيافات من بيت الملك ثم من وزرائه طعاماً مصنوعاً وعسلاً كثيراً وبقراً وغنماً، كل رجل بما تسنى لديه وبحسب حاله، وخلطوا في هذه الضيافة من دنان الخمر العظيمة، يحسبونه من كمال الضيافة، وما يتحفون من الأضياف أشراف التحافة، فأشار إليهم الحاج سالم بن عبدالرحيم رسول الملك أن يرفعوا ذلك، وبين لهم حكمه في دين الإسلام، الذي شرفنا الله به وأيدنا بعزه، فسارعوا برفعه فوراً.

ثم لما كان صبح تلك الليلة المسفر عنها أمر إلينا الملك يستدعي وصولنا إليه، فتقدمنا إلى قلعة الملك، وأشرفنا على دار عالية، وبنية سامية، من أعجب المباني الباهرة، وأحسن العجائب الفاخرة، مبنية بالحجارة والنورة، وليس في المدينة؛ بل ولا في أرض الحبشة غيرها، فهي من أكمل منظر وأجمل صورة، وساير البيوت في تلك الديار جميعها إنما هي عشاش من نبات الأرض، والباني لهذه الدار رجل من أهل الهند، فصفة تفصيلها على أساليب أرضه، وهذه القلعة التي تختص بيوت الملك في جانب المدينة وأعلى محل فيها، وهي تشتمل على دور عديدة وساحات مديدة، وحول هذه الدار مبان أخر أرضية متسعة الأطراف في الطول والعرض والسمو سعة ما رأته العين في شيء من المباني، وهذه الأماكن معدة لقعود الملك فيها، وفي كل مكان منها ينبغي أن يهيأ به من الفرش الرومية المنوعة، ومطارح الهند التي هي بالذهب ملمعة، والأسرة الفاخرة، التي هي بالحلي والجواهر مرصعة، فناهيك بتلك المقاعد زينة للناظر، واستدراجاً لذلك الملك الكافر.

ولما وصلنا إلى الملك[٨٨/ ب]وقد انتظم مجلسه في تلك الدار، وتهيأ أهل الحضرة من الوزراء وغيرهم وأعظم أبهة، حيث لبسوا مطارف الديباج المطرزة بالذهب ومطارف الحرير التي يقضي منها الناظر إليها بغريب الصنعة ونهاية العجب، وجعلوا في أوساطهم مناطق الذهب المحلاة بالفصوص الفاخرة، ونفيس الجواهر التي هي لهم في الدنيا ولنا إن شاء الله في الآخرة، ثم أخذوا في أيديهم السيوف السنارية المحلاة كذلك بعين الذهب الخالص، وتعجلوا بهذه النعمة التي هي إلى الزوال أسرع من الظل القالص، ثم انتظموا بذلك المجلس قياماً أحسن نظام مع تمام صورهم، لما خلقهم الله تعالى عليه من بسطة الأجسام، وألوانهم مع ذلك غير

مشوهة بالسواد الفاحم، ورؤوسهم مكشوفة عن الشعر الجعيد الناعم، وفي أيديهم أساورة الذهب، وفي آذانهم الأقراط المتلألئة كإشتعال اللهب، وعلى الجملة فما رأيت من صفات الملك غير هذه الأمور المنعوته وما سوى ذلك من الكمال فعراه مبتوكة مبتوتة، فلما رأينا تلك الهيئة وذلك الإنتظام، وقد كان في النفس شيء من ذلك الكلام، الذي قدمنا ذكره، فخطر بالبال أن هؤلاء الوزراء يريدون بهذا الإجتماع، معرفة حقيقة ما نقل إليهم، وقد يمكن أنهم يريدون الإطلاع على كتاب الإمام -عليه السلام- الذي في صحبتنا؛ لأن هؤلاء الوزراء لهم اليد القوية على الملك، والتصرف النافذ على كل حال، ولما نظرنا إلى الملك وجدناه وقد نزل عن سريره وقعد على الأرض إكراماً لنا، وإعظاماً لإمامنا، وقادته التي يعرف عليها أنه لا ينزل عن سريره لوفود وافد، إلا أن يكون في أعلى مراتب الفخامة، ومستحقاً أنواع

الكرامة، ثم إن كل وافد لا يقعد بين يديه إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن كانت منزلته كذلك، فلما استقر بنا المجلس أقبل علينا الملك، وقد أعد ترجماناً شريفاً يقول إنه من آل الحسين بن علي- رضوان الله عليهما- من أرض بخارى، وهو ملازم حضرة الملك، قد سلب الإيمان، واستحوذ عليه الشيطان، وسلك في مساخط الرحمن، فهو شيطانهم المريد: {إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ } وهذا الشريف يعرف لسان العرب أحسن المعرفة، ويعبر عنه أوفى العبارة، فاستقام بين يدي الملك يعبر عنا وعنه، وسألنا عن الأحوال، فأخفا السؤال، وبالغ في التحقيق عن الإمام -عليه السلام- وأولاد إخوانه بأبلغ الإستفصال، ثم إنه بدأنا بالسؤال عن كتاب الإمام الذي في أيدينا، واستدعاه منا بمسمع من أهل حضرته، فتأكد من ذلك الظن حيث ابتدأنا بذلك، فأجبنا عليه إن معنا[٨٩/ أ] كتاباً وصحبته هدية من الإمام -عليه السلام- إلى الملك ولإيصاله

الهدية مجلس آخر غير هذا، كما هي القاعدة المعروفة، فأجاب علينا الشريف الترجمان قبل أن يبلغ الملك قواعد هؤلاء القوم غير ما عرفتموه، وهي أن الوافد مثل وفودكم هذا يقدم هديته بين يديه حال قدومه، فقلناه له: بلغ الملك ما قلناه، واعتذر لنا في ما جهلناه، فبلغ الشريف ما عرفناه به وقبل عذرنا، ثم قال لنا بعد ذلك: في أي محل تريدون النزول في منازل النصارى أم في منازل المسلمين، وهناك حافة للمسلمين مخصوصة، محصورة في جانب من المدينة، فقلنا له: منازل المسلمين أولى بنا، والكل في جواركم وحماكم، فأمر معنا ذلك الشريف ينزلنا في بيوت تصلح لنا، ففعل الشريف ذلك، وبقينا تلك الليلة، وافتقدنا كتاب الملك وأسماء الهدية فيه وأعيانها، ثم استأذنا على الملك في اليوم الثاني للوصول إليه بالهدية، فأذن، وتوجهنا إليه بها ووجدنا حضرته كما كانت بالأمس فدفعنا إليه الكتاب، فقرأه الشريف الترجمان جهراً يسمعه أهل الحضرة، وعبر عنه بلسانهم الذي يعرفونه، ثم سلمنا تلك الهدية بأعيانها شيئاً فشيئاً، حتى أتينا على آخرها، ولما فرغنا من تسليمها، سألنا الملك أن يجعل لنا من أصحابه وأعوانه، ومن يتولى رفع حوائجنا إليه مما يعرض لنا فاستحسن ذلك، وعينه على الوزير المقدم ذكره المسمى (حواريا) ثم انصرفنا من حضرة الملك، وقد أمر ذلك الوزير أن يجري علينا من النفقة وتوابعها ما يقوم بكفايتنا، وألزمه أن يحسن التعاهد لنا لأحوالنا، فأجرى علينا من الملك في كل شهر ثلاثين حملاً من الحنطة، وأربعين رأساً من الغنم، وأربع رؤوس من البقر، وعشرين جرة من العسل، وست جرار من السمن، واستمر ذلك مرتباً في كل شهر.

ولما كان بعد مضي ستة أيام من حين وصولنا، طلب الملك وصولنا إليه، وأمرنا نقلل من الجماعة المصاحبين، ففهمنا أنه يريد ذلك الموقف الذي يكون فيه كشف السر الذي إليه يساق

الحديث، فتوجهنا إليه وصحبنا من جماعتنا غير أنهم بعد وصولهم حضرة الملك خرجوا من عندنا، ووقفوا في حجرة الدار، ولم يبق في حضرة الملك من وزرائه غير ثلاثة منهم من كبارهم، لم يخرجوا من حضرته وبقية الوزراء والأعيان متوارون عنا يسيراً، وهم يتطلعون إلى سماع ما يقال من الحديث، وليس هناك احتراس على حفظ الأسرار، وصيانتها عن الإعلان والإظهار، وأمر الملك الحاج سالماً رسوله المقدم ذكره أن يترجم عنه وعنا في ذلك الموقف، وأفاض إلينا من مكنون سره، وأعلن بما كان أضمره حتى أتى على آخره[٨٩/ ب] والمراد منا هو استيداع ذلك الحديث وحفظه عن الإذاعة، والحرص عليه من الإضاعة، حتى نبلغه عن صفته إلى مولانا أمير المؤمنين-أطال الله له الأيام والسنين- وجوابه ليس مطلوباً منا كما ذلك معروف من سياق مبادئ الأخبار، غير أنا جاريناه في ذلك المقام بما يليق بالحال من ترويج الكلام، وتلقي ذلك الحديث بالإكرام التام، وختمنا ذلك المجلس بأخذ الحقيقة من الملك لما سألناه عن ذلك الحديث، أهو الذي استدعى وصولنا إليه من أجله؟ فقال: نعم! هو هذا بعينه، وهو أمر عظيم لا يصونه إلا مثلكم، فقلنا: هل بقي في نفوسكم شيء؟ فهذا الموقف الحسن ما تستقضي فيه الأخبار، وتباح فيه مستودعات الأسرار؟ فقال: هو هذا، ولم يبق غيره مما نريد نحن وصولكم إلينا من أجله، فانصرفنا من مجلسه ذلك وأخذنا نتصفح أحواله، وهل نجد سبيلاً

إلى الخوض في ذلك الأمر الذي هو غاية الأمل، وقصارى الأرب، فلم نجد في تلك الدار لذلك النداء عريباً، ولا من يكون له مجيباً، فكنا نحن وإياه كما قيل: إنك في واد، ولكم بين مريد ومراد، فأعرضنا عنه صفحاً، وسدلنا دونه ثوباً، وطوينا عنه كشحاً، ثم إنه وصل إلينا عقيب وصولنا حضرة الملك رسول من بعض تجار اليمن بجهة مسوع يرفع ما نريده من أخبار اليمن،

وأحوال إمامنا، وانتظام أمور سادتنا -أيدهم الله بعزيز نصره- فسرنا ذلك غاية المسرة، وحمدنا الله عز وجل على تلك الأخبار الصالحة التي هي للعين قرة، ثم أنَّا سارعنا بتحقيق الأخبار إلى مولانا أمير المؤمنين -أطال الله له الأيام والسنين- ورأينا من أهم الأمور، وأولى ما يزحزح به حرج الصدور، تعريف مولانا أمير المؤمنين -أيده الله تعالى- بأنا نريد الخروج من مسوع وأنه- حفظه الله تعالى- يكتب إلى باشا الأتراك هنالك من يستأمن لنا منه، وأن العود من هذه الطريق التي دخلنا منها غير ممكن ولا سبيل إليه، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ففصلنا إلى مولانا -أيده الله تعالى- كتاباً جازماً بذلك.

ثم كان من ألطاف الله الخفية، وعنايته التي طالما أدركنا بها ولله الحمد كل بغية وأمنية، أن وصل إلى حضرة الملك من قبل باشا الأتراك من جهة سواكن موجهاً صحبته بهدية، وهذا الرسول رجل عربي اللسان من أهل سواكن، اسمه الأمير عبدالوهاب، حسن الأخلاق، كامل الصفات، جميل العشرة، سني المحاضرة، كريم الطباع، له نسك أهل الصلاح، يحفظ القرآن غيباً حفظاً جيداً، وعناية تامة، وله مع هذا مشاركة في كتب السير والآداب، وعلى الجملة فإنه من نعم الله تعالى علينا[٩٠/ ا] حيث روَّح عنا بأدبه، وانكشف عنا غيابات الكروب بسببه، وأجرى الله لنا على يديه منافع كثيرة، ونعماً جليلة.

ولما رأينا حسن عشرته وخلوص مودته، وظهور صدقه وأمانته، أسررنا إليه ما نريده من الخروج من جهة مسوع، وأنا قد رفعنا ذلك إلى مولانا أمير المؤمنين -أيده الله تعالى- بالنصر المبين، ولا ندري ما يستحسن من ذلك، ونحن نخشى أن يخطر بباله -أيده الله تعالى- أن العود في هذه الطريق التي دخلنا منها متيسر، أو مع احتمال بعض مشقة لا تخلو عنها حال المسافر في

الغالب، وإلا فالمعلوم بالضرورة أنه لو يرى ما قد رأيناه ويشاهد منها ما شاهدناه لم يرضها لنا على كل حال، ونحن نريد تمام هذا الرأي على يديك، وتفويض الأمر فيه إليك، فابذل فيه العناية، وأحسن في تدبيره السعاية:

إن أراد الصديق نفع صديقٍ .... فهو أدرى في نفسه كيف يسعى

فأحسن في الجواب وكشف برايق عبارته عن وجه الصواب، وقال: بعد أن سمعت منك هذا الحديث فقد عزمت أن أعطيك عجري وبجري، أعلم أني ما دخلت هذه الهدية إلى الملك إلا متوصلاً بها الإحاطة بأخباركم فإن محمد باشا صاحب سواكن، لما بلغه دخولكم من جهة بيلول أقعده ذلك وأقامه، وأقلقه وطرد منامه، فتوصل إلى حقيقة إدراك هذه الأخبار بما تراه من وصولنا بهذه الهدية، المضمر في طيها استكشاف هذه الخبية، وهذا الأمر الذي استدعيتموه ممكن حصوله، على أحسن الوجوه بفضل الله وإحسانه، ومنه وإمكانه، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والخيرة لله العزيز الحكيم.

واتفق الرأي بيننا وبينه على أخذ الملك في ذلك، وقد عرفنا من مراده أن يدرك أنه لا يحب المرور من جانب الأتراك، لما يلقاه من أهل الحبشة من جورهم وتحكمهم في أموالهم، وسوء معاملتهم، فلذلك إن الملك يحب فتح هذه الطريق من جانب بيلول، وربما كان ضميره المستكن من هذه المواصلة بينه وبين إمامنا-صلوات الله عليه وسلامه- فإنه يعلم أنه لا يتم له فتح هذه الطريق إلا بقوة وعناية، من وجوه عدة، من جملتها معاودة الرسل من قبل الإمام -عليه السلام- في هذه الطريق؛ فإنهم مع قوتهم بمعونة الله تعالى واستصحابهم البنادق يسير معهم كثير من أهل التجارة، دخولاً وخروجاً، فتسهل أوعارها، وتقلل أخطارها، وكان رسولنا إلى

الملك لاستئذانه في ذلك، الشريف بن محمد بن موسى البخاري، المقدم ذكره، ولما عرفه بذلك أجاب، الملك في ذلك المقام بالإسعاد إلى ذلك المراد، وكان جوابه هذا[٩٠/ ب] صادراً على بديهية الرأي، ولم يبعد أن يكون في تلك الحال متغيراً بكسره، وعلى غير ثبات من أمره، لما ظهر لنا منه بعد ذلك من الندم الشديد على رضاه، والأسف على ذلك الرأي الذي أنفذه وأمضاه.

ولما رجع إلينا جوابه بالمطابقة والموافقة، سارع الأمير عبدالوهاب إلى محمد باشا بكتاب يذكر به مثل ما عرفناه به، وأرسل به رسولاً من فوره، ثم إنه تجدد بعد ذلك اختلاف رأي الملك علينا، وقال: مروركم من جانب الأتراك لا سبيل إليه، ولا يمكن أن يكون ذلك، فإنهم أعداؤنا وأعداؤكم ولا أمانة لهم، فقلنا له: أما عدواتهم فلا ننكرها، وأما الغدر منهم فلا نظن ذلك فيهم، فإن الغدر مذموم في كل ملة وفي حكم كل شريعة، ألا ترى أنا دخلنا بلادكم، ووصلنا إليكم بمجرد كتاب منكم، وأنتم مخالفون لنا في الدين والملة، فأنتم على دين النصرانية ونحن على دين الإسلام، فلو أنا ما وثقنا بقولكم وما وصلنا إليكم، وما رأينا عاقبة ذلك إلا وفاء وكرامة، وعافية وسلامة، وأمَّا الأتراك فهم -على ديننا وملتنا وكتابهم كتابنا، ونبيهم نبينا، فكيف أن لا نقبل منهم الأمان، ونجعله أعظم حجة بيننا وبينهم، وليس المراد للملك إلا الرجوع في طريق بيلول لتلك الأغراض التي يريدها فقط، فما برحت المراجعة بيننا وبينه دايرة، والأقوال مختلفة، وهو يتوسل علينا بكثير من الناس، ويلقي إلى أصحابنا شيئاً من ذلك الحديث سراً وجهراً، ويخوفهم من السلوك في جانب الأتراك بكل مخافة، والملك في ما أعتقد غير محيط علمه بصفات هذه الطريق التي يحاولها من جانب بيلول، وإلا فلو يعرفها حق المعرفة ما أظنه يستحسنها مع وجود غيرها، فلما طال الحديث بيننا وبينه على ذلك، وعرف أنا باقون على تلك

النية غير منقلبين عنها، لم يجد بداً من إسعافنا إليها، غير أنه طلب منا شاهداً نكتبه يكون في يده يقضي ببراءته من هذا الرأي،

وأن عاقبته من سلامة أو ندامة لنا وعلينا، فوضعنا له شاهداً، وقبضه منا وقد أشهدنا فيه على أنفسنا وأعطاه ذلك الرسول الذي وصل إلى الإمام، ودخلنا في صحبته؛ لأن الملك عازم على عوده إلى حضرة الإمام -عليه السلام- ثم بعد ذلك خلى سبيلنا في سلوك هذه الطريق التي كانت عاقبتها ولله الحمد أحمد، والرأي في سلوكها هو الرأي الأسعد، وقد أطردنا الحديث على هذا النسق، وبقي لنا أشياء لاغنا عن ذكرها، مما يتعلق بأيام إقامتنا، وقد قدمنا ما ذكر ما أمر به من أمور النفقة المرتبة في كل شهر، على نظر ذلك الوزير المسمى (حواريا) مع مشاركة ساير الوزراء في تلك الأعمال، ومشارفتهم عليها كما هي قواعدهم المعروفة في جميع[٩١/أ] الأحوال، فإن التصرف والتدبير الذي هو في الحقيقة من التدبير إنما هو في أيديهم، وجار على مرادهم، وآرائهم متطابقة في الإستواء على اتباع الأهواء، لا تظهر فيهم المنازعة، ولا تقع فيهم المدافعة، أعمالهم مبنية على الجور وأكل الرشا، يتعاملون بذلك ظاهراً، ويشطرونها على أهل الحاجات شاهراً، لا يسترون بها، ولا يستحيون منها، وكانوا لهذه الصفات الدنية فيهم يريدون التباطؤ بقضاء أغراضنا وإبلاغ حوائجنا، ليضطرونا إلى الولوج في هذه المخازي، والدخول في هذه النقايص، فتقاصرت عنا آمالهم، ولم تبلغ إليها أعمالهم، لما رأوا من علو منزلتنا عند الملك، والإتصال به في أي وقت نريده، فنافسونا على ذلك، وأدركنا منهم العداوة والبغضاء، والمكايدة والمعاندة، ومما اتهمناهم به أمر الحريق الذي وقع معنا هنالك، فإن فاعله إنما أراد هلاكنا بالنار غير أن الله سبحانه

وتعالى أبقى علينا ستره، وأبطل على الساعي بذلك كيده ومكره، وكيفية الحال في هذا الحريق، أنا لم نشعر في بعض الليالي وقد هدأت العيون بمراقدها، وأخذت الجنوب مضاجعها، إلا وقد اشتعلت النار في جانب العشة التي أنا فيها مع شدة رياح العاصفة، وزعازع منها قاصفة، فأسرعت في الإشتعال، وأتلفت جميع ما لدينا من الآلات وساير الأثقال، ولم نتمكن بعد ظهور النار إلا من النجاة بالنفوس، فالحمد الله الذي نجانا من ذلك البؤس، وكان من أهم ما أهمنا من ذلك حريق الكتب التي كنا استصحبناها، فإنه ذهب منها شيء بالكلية وبعضها بقي منه بقية، وبعضها وقع فيه شين وتناقص عن حالته السليمة السوية، إلا نفس المصحفين الذين كانا في تلك العشة، فإنا وجدناهما سليمين لم يصبهما شيء أصلاً، وإنما وقع في إحداهما شين يسير، في جلده فقط وذلك من فضل الله وكرامة كتاب الله، ووقع معنا من هذا الحريق روعة عظيمة، وفزع كبير، رأينا سلامتنا منه والله الحمد نعمة عظمى، ومنه طلع نجمها في فلك السعادة الأسمى:

إذا سلمت رؤوس الرجال من الردى .... فما المال إلا مثل قص الأظافر

اللهم إنا نعوذ بعظيم عفوك، ونلوذ بخفي لطفك، من عذابك الذي لا يدفعه إلا رضاك، ونار عقابك التي أعددتها لمن خالفك وعصاك، فإنه لا طاقة لنا على عذابك ولا حول ولا قوة إلا بك. ولما بلغت هذه القصة إلى الملك أقامه ذلك وأقعده، وأبرق بسببها على الناس وأرعد، حتى أن الوزراء ما زالوا يخفونها عليه، ويهونونها لديه فغفل عن شأنها، وأعرضوا عن الإحتفال بها[٩١/ ب] وأما نحن فلم نعبأ برفع مثل ذلك إلى الملك وقلنا له حين سألنا عنها ليس في مثل هذا بأس، ولم نظهر له التوجع من أحد من الناس، وإنما استعنا على ذلك بالله عز وجل،

وبحسن الصبر، وإعمال الحذر، ومصاحبة الحزم، وإحسان النظر، واشتغلنا بمعالجة الملك في حصول الإذن منه لنا في العود إلى ديارنا، والإقبال على أعمال سفرنا، فما برح يطاولنا في الوعود، ويروح في المماطلة ويعود، حتى مضت علينا تسعة شهور كاملة، إلاَّ أنه عرض من الأعذار للملك في تحيرنا دخول أيام الخريف، وما يعتاد فيها من توالي الأمطار، واتصال ذلك في جميع ساعات الليل والنهار، فيستمر مطبقاً أربعة أشهر لا ينقشع سحابه، ولا ينقطع في تلك الشهر على تلك الديار ودقه وانصبابه، حتى أنهم ليعدون كثيراً من ذخاير النفقات، وما يتبعها من القوانين المصروفات، قدركفاية أيام الإطباق لما يحصل من احتباس الناس، وانقطاع الأسواق، ولقد رأينا تلك الديار مع هذه الأمطار يظهر للعيون بأعجب ما يراه الراؤن من حسن خضرتها، وكمال نضارتها، سهلها وجبلها، وجميع أرجائها وجوانبها، وتزهر مع ذلك بأنواع الزهور البرية، بلون الخضرة الزبرجدية، والحمرة الوردية، والصفرة

العسجدية، وقد يأخذون من هذه الزهور المذكورة ويتخذون منها صبغاً عجيباً يحبسونه بشيء من الممسكات ثم يصبغون به في الثياب وفي شيء من البسط يشبه الرومية، فيكون صبغاً رايقاً، ولوناً مناسباً لايقاً، ومع اتصال تلك الأمطار، وتواليها على عموم تلك الأقطار، لا تتيسر مواد الأسفار، ولا يأمن الإنسان من الوقوع في الأخطار، فأقمنا تلك الأيام كالقبض على جمر الغضا، والصبر على سفح اللظى:

رضيت قسراً وعلى القسر رضا .... من كان ذا سخط على صرف القضاء

ومن عجايب ما نذكره، أنه قد يتفق في هذه الديار الخريف في نزول نار من السماء، يرونها كالدخان العظيم المجتمع في جو السماء، يركمه الرياح بعضه على بعض ثم ينزل مجتمعاً، وهم

يرونه بأعينهم حتى يقع على الأرض، فإن أصاب بيوتاً أحرقها، وإن وقع على نفوس أهلكها، وهذا لم نشاهده عياناً، وإنما رواه لنا بعض جماعتنا المصاحبين كان مترحاً في البادية، فوقع ذلك في تلك المحلة التي كان فيها، ولما روى لنا ذلك سألنا عنه كثيراً من أهل تلك الديار، فأخبرونا أن ذلك شيء معروف، وأمر ظاهر مشكوف، فسبحان الملك القدير، المخوف بآياته، المظهر لعباده[٩٢/ أ] ما أراهم من دلايل نقماته وسطواته: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ } ولما انقضت أيام الخريف، رجعنا إلى مذاكرة الملك، ومطالبته في شأن السفر، والحث له على الوفاء الذي هو أطيب ما تضمنته السير، وأفضل ما ذكره في طي الذكر، فرجع إلى تلك المماطلات الكذبية، والمواعيد العرقوبية، وغالب أحوالهم أنهم يعدون الكذب شعاراً ودثاراً، ويتعاملون به ولا يرونه عاراً وبواراً، ونحن في خلال هذه الإقامة، نطلب من نجتمع به من أهل شريعتهم وقراء كتابهم، فلم نجد أحداً ممن يعرف بذلك، إلا من كان منهم تسمى باسم الرهبانية والأغلب عليهم عدم الإطلاع على أحكام شريعتهم، وإنما طريقتهم الزهادة، والعبادة والميل إلى الخلوة، واجتناب الأنكحة، فأما هؤلاء فكثير جاءنا منهم، وكنا نخوض معهم في أشياء من علوم الشريعة، فلم نجد عندهم ما يعرف به كونهم من أهل علمهم، فإن محاورة العالم لا تخفى، وقد كان بلغ إلينا خبر رجل عظيم من

عظماء القسيسين وأحبارهم الذين يأخذون عنهم أحكام الدين، ولكنه وقع في قضية اقتضت حبسه بيد الملك، والأخذ عليها بالتضييق الشديد في جزيرة من جزر النيل، وها نحن نذكر ما بلغ إلينا من أمره، وهو أن القسيس المذكور رجل من القبط من أهل مصر، والقاعدة التي جرت عليها سنتهم أنه لا يقعد في هذا المقعد إلا رجل من القبط بأمر البترك صاحب بيت

المقدس يوليه ذلك، ويبعث به إلى أرض الحبشة، نصت على ذلك سنن الماضين، واحتذاه من خلفهم الآخرين، ولسان هؤلاء القبط لسان عربي فصيح ويخرج من مصر وكتاب الإنجيل معه مكتوب بالعربي، وجميع ما يستصحبه من كتب شريعتهم وأحكام دينهم كذلك مكتوب بالعربي أيضاً، ومن تصدر لهذا الشأن يسمونه بلغة الحبشة الأبوان، كما يقال في لغة العرب: القاضي وحين يستقر في هذه المرتبة، يشارك الملك في نصف ما يجبى إليه من ولايته من قليل وجليل، وعظم ملكه وتكبر في نفسه، ومالت إليه الأكابر، واعتمدت عليه الرعية والعساكر، واغتار منه الملك، وصار يطلب إعمال الحيل على هذا الأبوان، والأخذ عليه، والإنتقام منه، وكان من الأسباب المهيئة لذلك أنه بطش[٩٢/ب] برجل من المسلمين كان من أهل بطانته، والإختصاص بخواص خدمته، فأنتهبه وهتك ستره، ومع ذلك فإنه -أعني هذا المسلم- من أهل الهمة والأنفة، فما برح يتطلع إلى الإتصال بالملك، لينم إليه بأمور يستنكرونها على الأبوان، وعلم أنهم يؤاخذونه عليها، والملك يطلب مثل ذلك، فاتصل هذا المسلم بالملك، وباح إليه بجميع ما عنده، وما أطلع عليه من أمره، وكشف له ما كان مستودعاً عنده من سره، فاستثبت منه الملك في ما نقل،

ثم طلب الوزراء الأول فالأول، يطلعهم على ذلك ويخبرهم أن هذا الرجل صار يخبط بهم في مهاوي المهالك، وللرهبان كبير يعتزون إليه ويسمونه الأجيق بوزن زنديق، فاحضره في ذلك المجلس، وشاوره في الرأي، فاجتمع رأي الجميع أنهم يصيحون في المدينة، أنه من علم بفاحشة على الأبوان تخالف دينهم وصل إلى الملك في يوم معلوم، فلما سمع الناس ذلك النداء استعد للإجابة إلى الملك خلق كثير من الرجال والنساء، وأحفلوا في مجلس الملك في ذلك اليوم المعلوم،

والميقات المحتوم، ورمته ألسن الحاضرين بما علموا من معاصيه، واطعلوا عليه من مخازيه، حتى لقد شهد عليه بعض نساء الملك بما تشاركوا فيه من الفجور، واتفقوا عليه من الفواحش المخزية في يوم النشور، وهم يرقمون شهادة من حضر ذلك الجمع، ويسندون شهادتهم إلى ما أدركته حاسة البصر والسمع، وكاتب هذه المخزيات الشريف محمد بن موسى المقدم ذكره بالقلم العربي؛ لأنهم يريدون رفع ذلك إلى البترك صاحب بيت المقدس وقلمهم هناك عربي، فلما استكملوا ما أرادوه من فضيحته، وعلم الملك أنه قد أدرك ما يريده من حط مرتبته، شاور الوزراء والكبراء ما ذا يفعل به، فقال كثير منهم: يقتل، ورجح للملك أن يحبسه فحبسه في جزيرة بحر النيل كما قدمناه وأخذوا فيه رأي البترك، ورفعوا إليه بتلك الفواحش واستدعوا منه من يقوم مقام هذا الأبوان، فهذا آخر ما نقل إلينا من حديث الأبوان من رواية محمد بن موسى البخاري.

ثم إنه كان في بعض الأيام خروجنا من مدينة الملك للضيافة إلى بعض منتزهاتها، قاصدين إلى محل كان يعتمره هذا الأبوان المذكور، وفيه شيء من كتبه مكتوبة بالقلم العربي، فأحببنا الإطلاع على شيء منها فوصلنا إلى ذلك المحل ووجدناه محلاً نفيساً رايقاً للعيون، ومن أعجب ما رآه الراؤن وفيه جماعة من تلاميذ ذلك الأبوان، فاجتمعنا بهم وخاطبناهم[٩٣/ أ] بما نريده، فأدركنا منهم التشوش والإرتياب، والتقلقل والإضطراب، فسكنا روعتهم، وأحسنا مخاطبتهم، حتى اطمأنت نفوسهم وأطالوا معنا في الحديث، حتى أنا لم ننصرف من عندهم إلا وقد أعجبهم ما رأوه منا من الرفق، ونهى المصاحبين لنا من أن يعبثوا بشيء من محاسن تلك البساتين التي معهم، فتحدثوا بذلك بعد رجوعنا من عندهم لكبيرهم، وكان غايباً ذلك اليوم عن ذلك

المحل، فأعجبه ما سمع، ووصللنا في اليوم الثاني من يوم خروجنا وجاء إلينا إلى محلنا، وهو رجل عليه سيماء القراء، وتنسك أهل العبادة، وهو يتكلم باللسان العربي من غير واسطة الترجمان، فتيسر له خطابنا ولنا خطابه؛ لأنه من تلامذة الأبوان المقدم ذكره، فوجدناه أحسن في تلك الدار، واسمه خاطروس، فما برح يسألنا عن شريعتنا، وما أركانها ومهماتها، فأجبنا عليه وذكرنا له أركان الإسلام الخمسة، وصفة الشهادتين والصلاة وصفاتها، وما يقدم لها من الطهور، ثم الأذان الذي يدعى به ليحضرها الناس، ثم الإقامة بعد الحضور، ثم التوجه بألفاظه، فأعجبته تلك الألفاظ غاية العجب، ثم أكثر السؤال عن الزكاة في الأموال وتقديرها فأجبنا عليها فيها، ثم قال: من يأخذ هذه أرباب الأموال؟ فقلنا:

الإمام الأعظم، قال: فمن يأكلها؟ فعرفناه مصارفها كل مصرف باسمه وصفته، فازداد عجباً بما شرعه الله عز وجل من العناية بأحوال الضعفاء بمتاع الدنيا، وقال: هذا غاية الرفق، وكمال المعروف.

ثم كذلك أعجبه ذكر السهم الذي يصرف في سبيل المجاهدين، الذين يقاتلون عن الدين الحنيف ويجاهدون الخارجين عنه من الكافرين، وما برح هذا الرجل يعاودنا ويتأسف على ما مضى من الأيام التي لم يجتمع بنا فيها، ونحن كذلك أعجبنا منه ما رأيناه، ثم قال: لولا أنني رجل كبير يظهر للناس خبري ولا يتكتم عنهم أمري، لصحبتكم إلى بلادكم، واستأمنت منكم أن تتركوني على ديني، فقلنا: كم مثلك من اليهود والنصارى يستأمنون من المسلمين، ويدخلون ديارنا بأمان وجوار، فمنهم من يبق مع تسليم جزية معلومة عن رأسه، ومنهم من يقيم الأيام اليسيرة ثم يرجع إلى أرضه، ثم إني سألته عن الإنجيل، وهل يوجد عنده مكتوباً بالعربي؟ فقال:

نعم هو عندي ثلاثة أسفار، فطلبت منه عارية السفر الأول، فجاء به إلينا وهو مكتوب في عنوانه مبادئ الإنجيل، فنظرت فيه قدر عشرة أيام وجميع أوائله مواعظ فقط لم أطلع[٩٣/ ب] على غيرها، وقال: إن الأحكام في السفرين الأخيرين، وكان بعد تلك الأيام ارتحالنا إلى هناك، وكان هذا الرجل يخبرنا عن أحوال الأبوان المتقدم ذكره، ويروي تلك الأمور المستنكرة، ويهجن عليه بها، وقد كان بلغ إلينا حبس الأبون إلى جانب الطريق قبل وصولنا إلى الملك، فتأكد معنا الظن الذي كنا نؤمله في الملك من الدخول في الإسلام، لا سيما مع انضمام قضية أخرى إلى هذه-قضية الأبون- وهي أن هذا الملك المذكور لما مات

أبوه وله أولاد كثيرة على أمهات متفرقة، وليس لهذا الملك من أمه أخ واحد، فأوصى أبوه إليه وإلى وزرائه أنه إذا مات حبسوا جميع أولاده بالقيود في حصن معروف، ولا يتركوا من الحبس إلا هذا الأخ الذي هو شقيقه من أمه، ليكون عضداً لأخيه، ومظاهراً له في أمره وملكه، ففعلوا ذلك وحبسوا جميع إخوته في ذلك الحصن، وهم خمس عشرة رجلاً، وأجرى عليهم الملك النفقات الفايضة، والإحسان التام من كل وجه، وإنما الغرض دفع منازعتهم الملك، فبقى هذا الأخ مؤازراً لأخيه في أموره، ويقوم بأمور جنده وأحوال غزوه وملاقاة عدوه، حتى أن الملك أدرك أن أخاه يريد قتله والوثوب على سرير ملكه، وهؤلاء الأمحرة معروفون بمتانة الكيد، وأكيد الحكمة في تدبير وجوه الحيل، فما زال الملك يدبر وجه الحيلة على أخيه، كيف يكون السبيل إلى الأخذ عليه، والإنتقام منه، ولم يتيسر ذلك للملك إلا بعد مدة مديدة، وزمان طويل، وشرح حديثه لا يكفي فيه القليل، فما برح في ذلك حتى استمكن من أخيه في جوف الليل وأمر به جماعة من أهل البأس والنجدة والهمة والشدة يخرجون به ليلاً، وقد كانت أمه قد

سألت الملك أن يبقي عليه من القتل، وأن يكتفي من ذلك بحبسه فأظهر لها الإمتثال، وأنه أمر به إلى جزيرة بحر النيل، ولما بعث به في جوف الليل، لم يظهر خبره لأحد من الناس، ولا ظهر من وجوده في أي محل من تلك السجون المعروفة، فلم يشك أنه قتله، وكانت هذه القضية مع قضية الأبوان السابقة موهمتين صدق ذلك الظن، وأن الملك إنما بطن بهذين الرجلين ليستقل بذلك الغرض ويتمكن، فلم يكن إلا كما قيل- في كل خيال لم يحصل من فايدة-رب

صلف تحت الراعدة، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، وما مسني السوء:

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده .... وليس عليه أن تتم المطالب

[٩٤/أ]هذا وقد قدمنا أمر الحريق الذي وقع معنا، وعظم موقعه وهول حادثه، وحملنا عليالعناية والإحتراس، والمبالغة في الإحتفاظ، ثم أنا لم نشعر في بعض الليالي إلا وقد اشتعلت النار في جانب العشة التي نحن فيها، مع هدوء العيون وغلبت النوم على حواس الحراس الموكلين بالحفظ، فكنت أول من أدرك اشتعالها وانتشارها، مع هدوء الريح تلك الليلة، وسلمنا الله عز وجل من ذلك ونجانا بفضله علينا مما أرصده لنا من تلك المهالك، فالحمد لله ولي الحمد ومستحقه، حمداً يقوم بعظيم فضله، وواجب حقه، ولما رأينا هذه المخاوف والحوادث التي تنوب، والكوارث التي هيجت الأحزان والكروب، مع ما رأيناه أيضاً من مماطلة الملك بالمواعيد الكاذبة، ضاق الصدر وحرج، واضطرب الأمر ومرج، وخشينا ألا نجد إلى الخروج من تلك الديار سبيلا، لا سيما قد وقعت مراسلات من الملك وبعض وزرائه لبعض جماعتنا من العسكر المصاحبين يرغبونهم بالبقاء هنالك، ومع ما رأيناه من تخبير عدة من الرسل الذين يصلون إلى الملك بعضهم من أهل أوسة، وبعضهم من جهات سنار، وبعضهم من جهة

الأتراك، حتى صاروا في سلكهم، واستعبدوهم كما يستعبدون من وقع في ملكهم، ومع أنا نفكر في الحال، وننظر فيه إلى ما يكون في المآل، فوجدنا خروجنا مع تقدير تيسره، إنما هو من جانب الأتراك على جهة مسوغ، فنحن آمنين من مكرهم، ولا واثقين بأمانهم لما هو الغالب من نكثهم وغدرهم، فالتبست الأمور علينا، كقطع الليل

المظلم فلم نجد لنا ملاذاً ومعاذاً غير الإلتجاء إلى الله عز وجل، والتمسك بدرس القرآن العظيم الذي هو من أعظم ما به نتوسل، فيسر الله لنا مع ذلك منامات مبشرات، دالة على السلامة، ومؤذنة بالنجاة من كل ندامة، أذكر منها بعضها وهي: ما رأيت في بعض الليالي من الوفود على إمامنا المتوكل على الله -أيده الله تعالى- فوصلت إلى ديوانه الذي يقعد فيه لقضاء حوايج المسلمين فوجدته مملؤاً من العلماء العظماء، كل منهم فارش سجاد يصلون، وينتظرون نزول الإمام -عليه السلام- إليهم من أعلى الدار لصلاة الجماعة فقعدت مسنداً ظهري إلى جدار الديوان قعود الوافد، فبينما أنا كذلك إذ وصل الإمام -عليه السلام- فقمت إليه، وسلمت عليه، وهو يشق الصفوف حتى تقدم إلى محل صلاته فجعلت أطلب لي مكاناً أقعد فيه للصلاة فلم أر متسعاً إلاَّ في سجادة سيدنا القاضي العلامة وجيه الدين خير[٩٤/ ب] القضاة الميامين، عبدالقادر بن علي المحيرسي -حفظه الله تعالى- فقعدت معه عليها، وقضينا الصلاة جماعة، ثم خرجنا من تلك الدار على القاعدة المعروفة، فرفع المسبح صوته وهو يقول:

هات الآحاديث تصريحاً وتنبيها .... لعلها من غليل النفس تشفيها

إن الأمور التي في النفس تخفيها .... لا تخشها إن ذكر الله يكفيها

فخطر ببالي لما سمعت ذلك المُسبح أنه يريد تبشيري بإنفراج ما أنا فيه من الحيرة بفضل الله وأمره والتوسل إليه بجميل ذكره، فقمت من منامي مسرعاً أرقم هذين البيتين، وقد غاب عني من لفظهما من محل (لا تخشها إن) في البيت الثاني، فأصلحت هاتين اللفظتين في اليقظة، وأما البيت الأول وبقية الثاني فعلى صفته في الرؤيا، ثم رأيت رؤيا أخرى كذلك رأيت أن قائلاً يملي علي بيتين من الشعر وهما هذا المذكوران:

وكن حازماً في كل أمرٍ تريده .... فإن صواب الرأي ما كان أحزمه

وشاور عليماً في الأمور مجرباً .... حيلماً إذا ما دبر الأمر أحكمه

ورؤيا أخرى أيضاً وهي: إني رأيت أني أتلو القرآن على سيدنا علي بن سعيد الشريحي القارئ المشهور بمدينة صنعاء-حرسها الله تعالى- فوصلت إلى قوله تعالى{إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ} فقال لي: قف على هذه الآية، فقلت له: تريد إلى تمام السورة؟ فقال: في هذه كفاية، وغير ذلك لم أذكره، والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، ولشدة ما قاسينا من الضجر ومهاجرة النوم ومحالفة السهر، خطر بالبال وصف ذلك الحال، بما ضمنته في هاتين القصيدتين وإن لم يكن ذلك من بضاعتي، غير أنه مع قصور حاله من النظم المنتظم، ينزل منزل النثر الملتئم، هما هاتان:

الأولى:

على كل سعي في الصلاح ثواب .... وكل اجتهاد في الرشاد صوابُ

وليس على الإنسان إدراك غاية .... ودون مداها للغيوب حجابُ

ولو علم الساعون غاية أمرهم .... لما كان شخص بالشرور يصابُ

فقل لأمير المؤمنين لقد دعا .... وحق له بعد الدعاء يجابُ

ولكن دعا قوماً يظنون أنهم .... رموا غرضاً في دينهم فأصابوا

تراءى لهم لمع فهم يحسبونه .... شراباً فأضحى ذاك وهو سرابُ

يقولون إن الله جل جلاله .... هو الروح عيسى إن ذا لعجابُ

وحينا وقالوا بالأقانيم قرنه .... فتحصرها ضبط لهم وحسابُ

وقالوا هي الرب الثلاثة كلها .... بذلك أفتت فرقة وأجابوا

[٩٥/ أ] ولكن يقولون الثلاثة واحد .... ومن لتكميل الإله نصابُ

وهذا ضلالٌ بينٌ وجهالة .... تقطر منه الصم وهي صلابُ

عذيري من دين خسيس مآله .... نكال وخزيٌ دايمٌ وعذابُ

لقد ضاق ذرعي لإحتباس بأرضهم .... وكُدِّرٍ فيَّ مطعم وشرابُ

وحبب أوطاني إليَّ بأن لي .... بها خيرة طاب الزمان وطابوا

وللعدل والتوحيد فيهم مسارحٌ .... وريعٌ منيعٌ شامخٌ وجنابُ

فهل لي إلى تلك المنازل عودة .... وهل لي إليها مرجع ومآبُ

وهل أَردَن للشرع مورده الذي .... يدل عليه سنة وكتابُ

وهل أسمعن صوت المنادي جمعة .... ينادي بأعلى صوته فيجابُ

وهل أنظر الدار التي ضربت لها .... مدارس علم حولها وقبابُ

وهل يُسعدن دهري إلى نيل مطلبي .... فما لي منه غير ذاك طلابُ

فإن لم يكن يادهر عتبي فطالما .... عتبت فلم ينفع لديك عتابُ

ولكنني أقفو مقالة شاعرٍ .... فللقول حكمٌ بالغٌ ولبابُ

إلى الله أشكو بيني في منازلٍ .... تحكم في آسادهن كلابُ

تمر الليالي ليس للنفع موضعٌ .... لدي ولا للمعنفين جنابُ

أرى الكفر مكشوف القناع وأهله .... يظنونه خيراً فخاب وخابوا

فشمر أمير المؤمنين لحربهم .... فهم بقد البيداء وأنت عُقابُ

وأنت سليل القاسم القايم الذي .... رمي شهبه أهل الضلال فغابوا

إذا طلعت منهم طلايع ماردٍ .... تلقاه من تلك الرجوم شهابُ

ونادي بني المنصور من آل قاسمٍ .... تجدهم ليوث الحرب ليس يهابوا

وقل يا بني الهادي أجيبوا إمامكم .... تجيك شيوخ منهم وشبابُ

يفادون بالأرواح دون إمامهم .... ويصدق طعن منهم وضِرابُ

وناد بأبناء المكرم حمزة .... تجبك سيوف منهم وحرابُ

إذا أصبح الأعداء منهم سرية .... أصابوا بها جيشاً وليس يُصابوا

ولا تنس أشراف القواسم إنهم .... أسود لديها صولة ووثابُ

هم السم للأعداء يرون قتالهم .... يسيراً وإن قالوا الحراب صعابُ

وناد بني الجون الكرام بأسرهم .... لتجلب خيل منهم وركابُ

هم القوم كل القوم يا أم مالك .... على الحرب شب الأصغرون وشابوا

ومن كان من آل الحسين فإنهم .... هم الغلب يوماً كان فيه غلابُ

أولئك أبناء الشهيد الذي به .... أصبنا وكم غمّ القلوب مصابُ

ومن بعد هذا ناد من كان يقتدي .... بزيد إماماً حب ذاك صحابُ

[٩٥/ ب]فهم نعْم أشياع لآل محمد .... ونعم رجال النايبات حسابُ

إذا أقبلت يوماً طوائف جمعهم .... تضيق بهم عن بسطهن رحابُ

فحسبك بعد الله من قد ذكرته .... ويمطر بالنصر الغزير سحابُ

ولا تسمعن قول العذول فربما .... يشير بقولٍ بالخمول يسابُ

نقول بلاد الكافرين بعيدة .... وقد حال من دون البعيد عبابُ

وكُل مُشير لا يرى غير ظنه .... وليس على ما يقتضيه يغابُ

ورأي الذي قد شاهد الحال راجحٌ .... على رأي من لم يشهدوه وغابوا

ولله علم سابق في أمورنا .... فما كان فيه ليس عنه ذهابُ

فيا رب وفقنا وأيد إمامنا .... فأنت لكل في الأمور مُثابُ

وصل على المختار والآل ما جرى .... على كل حال في الزمان خطابُ

وأصحابه الغر الذين مشوا على .... مناهجه في ما ندين وجابوا

وهذه الثانية:

من لقلب ولطرف ماهج .... ولصب لم يزل حلف الوجع

ولمحزون نأى عن داره .... ومن الأحباب كيف المرتجع

كل يوم وله من همه .... ما أطار النوم عنه ووزع

وأشاب الرأس من أهواله .... وتحلى بالحلى بعد الصلع

أنكرت عيني ما تألفه .... وتجافى الجنب طيب المضطجع

ولقد زاد فؤادي وصبا .... ما رأت عيني من أهل البدع

سرت في أرضٍ قليل خيرها .... وكثير الشر فيها يصطنع

أهلها صنفان أما فرقة .... فنفت خالقها مع ما صنعْ

جعلت رباً نبياً مرسلاً .... جاء بالحق وبالصدع صدع

ثلثوه وهو رب واحدٌ .... جل عن ذلك ربي وارتفعْ

لم يلد ولم يولد ولا .... شاركه أحدٌ فيما ابتدعْ

إن رباً صلبوه عنوة .... بيد الأعداء ما فيه طمعْ

قهروه وهو رب قاهرٌ .... بطل الوصف بهذا واندفعْ

قد زعمتم ذاك فيما بينكم .... كيف رب ظلموه ما منعْ

وجهلتم أن ربي صانه .... وإلى السبع السماوات طلعْ

جاءكم عيسى بقول بينٍ .... سمع البعض وبعض ما استمعْ

إنه عبد نبي مرسلٌ .... دينه التوحيد لكن لم يطعْ

إن ديناً هذه أحكامها .... ضيق ليس به من متسعْ

يفضح الإنسان إن دان به .... ويريه الخزي في يوم الفزعْ

[٩٦/ أ]ورأينا فرقةً ظالمة .... تركب الفحش وتأتي بالقذعْ

تدعّي الإسلام لكن ما درت .... شارع الإسلام ما كان شرعْ

ينظر المنكر في ساحاتهم .... وعليه الناس جمعاً وجمعْ

لا ترى لله منهم طاعة .... سيما الاثنين وايام الجمعْ

رب مشغول بأسباب الهوى .... تبع اللهو تراه يتبعْ

عشق الخمرة لا يثنيه عن .... حبها لاحٍ ولا عنها نزعْ

أبداً لا يرتجى توبته .... وإذا ما استرجع فيها ما رجعْ

وإذا بصرته سبل الهدى .... فبعينيه عن الرشد قمعْ

قلبه الأغلف في حيرته .... ختم الله عليه وطبَعْ

آمنوا بالخبث من طاغوتهم .... فهو في فصل الشجار المنتجعْ

ما لقول الله أو قول النبي .... أبداً عندهم من مستمعْ

آه من حزن لدين المصطفى .... قد رأيناه على ضلع ربعْ

فلعل الله يرفعه .... ويُرى الكفر يقيناً قد خضع

ويديل الحق من أعدائه .... وضليع الكفر يضحي قد ضلعْ

بيد القائم نجل المصطفى .... الإمام الندب زين المجتمعْ

صفوة المنصور منصور اللواء .... خير من صام وصلى وركعْ

كم جموع للخنا شتتها .... وشتات في رضى الله جمعْ

يا بني المنصور أنتم عصبة .... أسد حرب ليس تثنيها الجزعْ

فانصروا الداعي منكم واذكروا .... يوم بدر ثم ردوه جذع

فالذي قام به والدكم .... وجبال الكفر فيه قد صرعْ

والفتى أن يتبع والدهُ .... فهو شيء لم يكن بالمبتدعْ

جاهدوا الكفار في الله فقد .... شمت برق النصر عن ذاك لمع

طهروا بيعتهم عن رجسهم .... فعسى تطهر هاتيك البيع

أنتم كالشهب مثلاً قاله .... جدكم والشيعة أمثال الفزع

قل لمن فاخر آل المصطفى .... هل محل يُرقى يا لكعْ

فهم حراس دين المصطفى .... وبهم من عاند الشرع انقمعْ

وصلاة الله مني ما سرى .... في الدجى برق وما الطير سجعْ

تبلغ المختار عني دائماً .... وعلى عترته أهل الورعْ

وعلى أصحابه أهل الهدى .... أبداً ما الجو بالسحب التفعْ

انتهى.

ثم عدنا إلى حديث أيام إقامتنا، وما كنا عليه في خلالها[٩٦/ ب] من النجدة والصلابة وما ألقاه الله عز وجل في قلوبهم من الجلالة والمهابة، إظهاراً لهذا الدين على ساير الأديان، وإكراماً لأهله بما أظهره لهم من عظيم السلطان، وكم أعدَّ من الأشياء التي يحاولون أن يدركوها منا فيظهر لهم عجزهم، ويهون على ذلك عزهم، ولا يمكن أن يقال أنهم يتقاصرون إكراماً لنا، فقد عرفنا من حالهم خلاف ذلك، وإنما هممهم قاصرة، فإن أحدهم قد يرى بالآخر منهم ما يقتضي منه طلب النصرة له، والدفع عنه فيحيد عنه جانباً ويولى عنه هارباً ولا يلوى عليه، ولا يلتفت إليه، ولا أن يقال أيضاً: إن ذلك لأجل قوة معنا ندفعهم بها، فذلك مما لايقال، على معدود من

صريح المحال فلم يبق إلا أن ذلك من فضل الله علينا، وتشريفه لدينا، فلقد كان في بعض الأيام، واتفق أن امرأة من المسلمين استحوذ عليها الشيطان، وزين لها الكفر على الإيمان، فارتدت وتنصرت، ولها ابنتان لرجل مسلم من أهل مسوع تزوج تلك المرأة هنالك، فاولدها هاتين الابنتين، ولهما أيضاً خالة أخت هذه المرأة المرتدة، فهربت بهما خالتهما، ووضعتهما في بيت رجل من أصحابنا الذي هو نازل فيه، فجاءت أمهما التي ارتدت عن دين الإسلام بجماعة من رجال النصارى، ونحو اثنى عشر رجل من كبارهم وأشرافهم، فلما انتهوا إلى باب ذلك البيت الذي فيه ذلك الرجل من أصحابنا، خرج إليهم وحده منفرداً يريد أن يخاطبهم بما يليق من الكلام، وتحسن محاورتهم في ذلك المقام؛ إلا أنه استصحب سيفه في يده، فما هو إلا أن رأوه خارجاً إليهم فولوا ظهورهم هاربين، يشتدون

عدواً شديداً، وخطواً مديداً، ولما علمنا بذلك أعتقدنا أن مثل هذا لا يسكتون عنه، فأمرنا بإدخال هاتين الابنتين في البيت الذي نحن فيه، وانتظرنا ما يجيء إلينا في شأنهما من الملك أو من بعض وزرائه، فلم يذكر لنا من ذلك شيء، وقد شاع خبر تلك القضية في مجالسهم وتحدثوا بها عند رؤسائهم، وأمرنا بمصير هاتين الابنتين إلى أبيهما إلى بندر مسوع، على يد الأمير عبدالوهاب رسول باشا الأتراك، صاحب سواكن المقدم ذكره، والحمد الله الذي أعزنا بدين الإسلام عن ساير الأديان، وشرفنا بشرفه السديد الأركان، الباذخ البنيان، وهو المسؤل أن يختم لنا رضوانه، ويشملنا بعظيم فضله وإحسانه، بحق محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وبهذا يتم ما أردنا ذكره أيام اقامتنا بحضرة الملك، بعد تمام تسعة شهور ألقى سبحانه وجل في قلبه الإذن لنا على تلك الشريطة[٩٧/أ] التي ذكرناها، وأمر معنا ثلاثة من كبار أهل

حضرته يسيرون بنا في بلاده للقيام بما نحتاجه من الضيافة المحتومة، ثم توجهنا من حضرة الملك في آخر شهر القعدة الحرام من عام ثمان وخمسين وألف سنة.

ولما انفصلنا من المدينة قدر عشر مراحل، انقضت مسافة أحد الثلاثة المأمورين بمصاحبتنا، وقام بنا فيها ذلك الرجل أحسن قيام، وفعل ما أمر به الملك مع زيادة عليه في الإكرام، ثم اقتضت النوبة إلى الثاني منهم، فبقى معنا تلك الليلة التي هي أول نوبته، ثم فارقنا من اليوم الثاني، وتقدم يقبض الضيافة من الناس، ويأخذها لنفسه، وتركنا وراء ظهره، ولم نجد من يقوم بتضييفنا، ولا ما نرجع إليه لنفقتنا، ومعنا نفوس كثيرة من الرقيق والخدامين، قد صار عددنا يزيد على مائة نفر فلم نجد طريقاً غير الإعتماد على الله عز وجل، وعلى تناول ما يقوم بنا في النفقة في كل قرية مما نجده فيها، وكنا على ذلك كلما وصلنا قرية طلبنا أهلها، وعرفناه بمقدار ما أمر به الملك من الضيافة، فإن سلموها أخذنا منهم، واكتفينا بها عن غيرها، وإن تمردوا عنها سلطنا عليهم من كان معنا فياخذون كفايتهم، ولا يفوتهم منها شيء، وكنا قد أعددنا معنا من سلاسل الحديد التي يربط بها أهل الجرايم حتى يسلموا ما نحتاجه، وقد كان وقع في بعض الرقيق معنا ألم الجدري فاحتجنا إلى اعداد من يحملهم على سرر رفقاً بهم، وحفظاً لهم عن اضاعتهم في أيدي الكفار، وكنا لا نقوم من القرية التي ندخلها إلا وقد قربوا منهم تسعة أنفار لحمل هؤلاء المرضى من قرية إلى قرية لا نعذرهم عن ذلك،، ثم إنا نربط رئيس القرية بالحديد ونسيره تحت الحفظ معنا، ولا نطلقه من أيدي العسكر إلا وقد وصلنا القرية الأخرى ووصل جميع أثقالنا كاملة سالمة، وهلم جرا، ولو لم نفعل ذلك لهلكنا جوعاً، ولذهبنا بأيدي الكفار:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً ... فلا أرى للمضطر إلا ركوبها

ولقد حاول أهل القرية الإمتناع منهم بالهرب، فأمرنا نساءهم بالحمل، وأجبرناهن على ذلك، فلما عرفوا صدق العزيمة رجعوا إلينا مغلوبين مقهورين، وليس مثل هذا يخطر على بال أحد من الناس أنه يتم عليهم مثل ذلك لمثلنا، على أنهم لو اجتمعوا على هلاكنا لم يشعر الملك بشيء من علم ذلك لبعده عن الإطلاع وقعود وزرائه[٩٧/ ب] عن مسالك الأبصار والأسماع، فلا شك ولا ريب أن تمام هذه الأمور لنا وظهورنا عليهم إلا بشرف الإسلام، وسر هذا الإمام -عليه السلام- وعلى جده وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام، واتصل سيرنا على هذه الصفة قدر خمس وعشرين مرحلة، وبعد تمامها انقضت مسافة ذلك المأمور المتمرد، ثم أفضت النوبة إلى الثالث منهم فتلقانا بأحسن ما يجب وأكرمنا بأفضل ما نحب، وفعل بما أمر به الملك مع زيادة إليه، وصير إلينا من الزاد ما يبلغنا إلى بندر مسوع؛ لأجل المفازة المتوسطة بين (مسوع) و(دباروى) وهي قدر عشر مراحل للقوافل، وأقمنا في بلد (دياروي) قدر اثنى عشر يوماً نصلح ما نحتاج من أمورنا، ونستزيد ما لا بد منهم من الزيادة التي على زادنا، وكانت القاعدة المتعامل بها أن القوافل إنما تسير من دياروي مع صحبة من السحرات المتصلين بهذه المفازة، وكان من الإمتحان أن وقع عزل الأمير صاحب دباوري مع وقوفنا فيها، فضاق بنا الحال، والجأنا تضايق الأمور إلى سرعة الإرتحال، فتوجهنا منه بغير صحبة ولا دليل، إلا الله عز وجل فهو حسبنا ونعم الوكيل، وهون علينا تلك الشدة ما بلغ إلينا أن مولانا أمير المؤمنين المتوكل على

الله -أيده الله تعالى- قد أرسل رسولاً قاصداً باشا الأتراك صاحب (سواكن) يأخذ لنا منه الأمان، وأمره أن يقف في بندر مسوع حتى نصل إليه فأسرعنا بالسير لما بلغ إلينا ذلك وحمدنا

الله عز وجل الذي يسر لنا هذه المسالك، ولما توسطنا في هذه المفازة بلغ إلينا أن جماعة من الأشرار من بدو النصارى مجتمعون في جانب الطريق يريدون اعتراضنا وقد طمعوا فينا لما بلغهم انفرادنا، فأرسلنا رسولاً من أهل الخبرة بالطريق إلى نايب الباشا في بندر مسوع وكتبنا إليه نخبره بما بلغ إلينا من خبر هؤلاء البدو، وما يريدونه من التعدي والعزم على الإقدام إلينا، وبسط الأيدي، وبعد أن نفذنا ذلك الرسول لم ننتظر عود الجواب في ذلك المحل؛ لأنا رأينا البقاء فيه مخاطرة، فلم نجد بداً من السفر والتوكل على الله عز وجل، فلما بلغنا ذلك المحل الذي بلغنا أنهم راصدون فيه، رأينا القوم قد اجتمعوا حول مصرام لهم كبير جمعاً كثيراً، وقد كنا أرسلنا إليهم رجلاً من المصاحبين لنا من أهل الحبشة يخادعوهم في القول، ويلين لهم العبارة، ويطمعهم بشيء من المال، ويكلمهم أن يصحبنا منهم جماعة من كبارهم إلى المحل الذي نريد النزول فيه تلك الليلة[٩٨/أ] وهو قريب من هذا المصرام الذي هم فيه يعلمون أنا لا نفوتهم بالتجاوز إليه، ومرادنا بذلك اطماعهم بالقول، ومطاولة الحديث معهم حتى يرجع إلينا الجواب من أمير مسوع، فأثر فيهم ذلك القول ونقض عليهم ما كانوا أبرموه، واطفأ من لهبهم ما كانوا أضرموه، لولا أنه وقع من بعض أصحابنا ما هيجهم، وأثار حفايظهم، فرجعوا على ما كانوا عزموا عليه من العدوان، وعزموا على اتباع ما زينه لهم الشيطان، فتركونا حتى تولينا عنهم قليلاً، ثم صرخ صارخهم واحتملوا علينا من جهة اليمين والشمال، ونظرنا إلى ما حولنا من الجبال فإذا هي تسيل بالرجال، وكان غاية همنا حفظ الرقيق خشية أن يسبوا من هو على ديننا، فلما اتصل بنا أوايلهم يتذامرون ويتعادون كأنهم السباع الضارية فرمونا بالحراب من أيديهم ودفعوها دفعاً تعدى حتى تعداهم فأصابوا منا رجلاً ووقع في فرس من خيلنا حربتان، فرمت عليهم البنادق وبأيديهم أتراس متسعة تستر جميع أبدانهم فهم يظنون أنها تدفع عنهم رمي

البندق، فوقعت رمية في أحدهم فخرقت ترسه وأصابته في شقه الأيسر حتى خرقته فألقته على جانبه وأثرت فيه تأثيراً هايلاً أرهبهم وأرعبهم، فأنكسرت سورتهم، وانفلتت شوكتهم، ومالوا عنا حتى لذنا بأكمة عالية، وجمعنا فيها أثقالنا، ثم أمرنا العسكر أن يقفوا بالبنادق على أطراف تلك الأكمة، وهم قد أحاطوا بنا من كل جانب، ولكن الله عز وجل ملأ قلوبهم هيبة، ورجع أمرهم بالإخفاق والخيبة، فلم يجسروا على الإقدام علينا والوصول إلينا وإلا فإنهم قد بلغوا نحو خمسمائة رجل أو يزيدون على ذلك سوى من جاء إليهم من آخر ذلك اليوم فإنهم بلغوا جيشاً عظيماً وعدداً كثيراً، فأرسلنا إليهم ذلك الرجل الذي كنا أرسلناه إليهم المرة الأولى، وقلنا له أعرف ما يريدونه منا فإن يكن المال فقل ما شئت وابذل لهم ما رأيت، وإن يكن النفوس فأخبرهم عنا أن الموت ليس باليسير، وإن الهالك منهم بعون الله العدد الكثير، فاتفق الرأي بيننا وبينهم على أن يأخذوا علينا عهداً ونأخذه على كبارهم كذلك بالأمان وعدم

العدوان، ثم نرجع معهم إلى بلدهم وقد كنا جاوزناها بميل ثم يقع الإصلاح هناك على تسليم شيء من المال، فرجعنا معهم إلى بلدهم، ونحن مع ذلك غير واثقين بعهدهم فإن الله عز وجل يقول في أمثالهم: {إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ } وبتنا معهم تلك الليلة، وجاء إلينا كبارهم يخوضون معنا، حتى أصبح الله بالصباح، ونحن نحاورهم ونجاهد مشقة السهر مع خوف الغدر[٩٨/ ب]منهم فإنهم مع ذلك قد أحاطوا بنا من جميع الجوانب، وأشعلوا النار من جميع الجهات، فلما كان نهار اليوم المسفر عن تلك الليلة رجع جواب أمير مسوع، وخرج العسكر نحو مائة نفر فيها خمسون بندقاً.

ولما وصل الرسول بالجواب، وأخبرنا العسكر من الأتراك قد خرجوا في أثره، بدد الله شملهم، وفرق جمعهم، ودفع عنا كيدهم ومكرهم، وكان ذلك من الفرج بعد الشدة، والحمد لله الذين خلصنا من كيدهم سالمين، ونجانا من القوم الظالمين، ثم إنا لما انفصلنا عنهم وهم مجتمعون ذلك الإجتماع ومطبقون نواحي تلك البقاع أرسل الله عليهم جيشاً من أعدائهم، وأحاطت بهم النقمة من بين أيديهم ومن ورائهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم كانت الدائرة على هؤلاء الباغين علينا، والغلبة لعدوهم عليهم، أنتهبوا أموالهم، وقتلوا رجالهم، وسبوا نساؤهم، حتى لقد رأيناهن في سوق بندر مسوع يبيعونهن في عقب وصولنا إليه، وشاعت هذه القضية هنالك، وتحدث الناس من أهل الإسلام في مسوع أن هذه القضية من كرامات إمامنا -عليه السلام- ولا شك ذلك، ولا ريب، فإن حقه على الله أعظم من ذلك، وكم دفع الله عنا ببركته من المهاوي والمهالك.

ولما اتصلنا بجماعة العسكر الواصلين من مسوع، ووجدنا رسول الإمام الذي قدمناه قد خرج مع أولئك العسكر، فسر بوصولنا واستبشر، وحمد الله على ذلك فأكثر، وعلمنا أن الله سبحانه قد نجانا من شر الكافرين وكيد الكايدين، وأوجد الله سبحانه وتعالى في قلوبنا أنساً وطمأنينة، وأبدلها عما كانت فيه من القلق وقاراً وسكينة، وارتحلنا نحن وجماعة العسكر جميعاً في ذلك الحال إلى بندر مسوع، فسرنا بقية يومنا ذلك، وفي اليوم الثاني دخلنا بندر مسوع وقت انتصاف النهار، فتلقانا النايب فيه بأحسن الكرامة، وأسنى ما نحب من البشاشة التي هي دليل رعاية العهد وعنوان السلامة، وأقمنا هنالك ثمانية أيام نهيء ما نحتاج إليه في سفر البحر، وبعد انقضاء تلك الأيام ركبنا في ثلاث سفن متوجهين إلى ساحل بندر (اللحية) فوصلنا إلى جزيرة

(دهلك) وتحيرنا فيه قدر أربعة أيام لعدم استواء الريح، ثم بعد ذلك تيسرت الريح المناسبة، فتوجهت الجلاب قاطعة عرض البحر من جهة المغرب إلى جهة المشرق، وعزم ربان السفينة على السفر ليلاً ونهاراً مع الإقتداء بالنجوم التي يهتد بها في ظلمات البر والبحر فسافرنا ذلك اليوم والليلة التي تليه واليوم الثاني إلى وقت العصر، ثم طلع علينا من أمامنا من جهة اللحية سحاب متراكم وثار[٩٩/أ] مع ذلك الريح العاصف المهيج موج البحر المتلاطم، فما زال يقرب منا فإذا البحر قد اضطربت أمواجه، وماجت جوانبه وأثباجه، وأمطرت السماء بما شاء الله أن تمطر، فاجتمع هول المطر مع هول ذلك الريح الذي صرنا معه إلى أعظم خطر، وأهل الجلبة يعالجون أعمالهم، ويتفقدون أحوالهم، وهم ينتظرون

انفراج الشدة في أقرب مدة، فطال عليهم ذلك حتى ضعفت قواهم وتفاقم الأمر، وعظم الحادث، وجارت الألسنة بالدعاء إلى الله عز وجل، والتوسل إليه بكل ذي حق عليه أن يفرج عنا ذلك الهول الأهول، ودام علينا ذلك المطر تلك الليلة مع اليوم التالي لها مع الليلة التي تليه، فكان دوامه ليلتين ويوماً، وكان معنا في هذا السفينة زورق صغير، فرسب في البحر لما امتلأ ماء فجذب السفينة لما كان مربوطاً إليها، وقد كان ربان السفينة وثب منها إلى هذا الزورق ولا ندري بمراده من ذلك، فلما رسب الزورق في البحر تعلق الربان بجانب السفينة وصرخ بصوته إلى أصحابه يستنقذونه فلم يجبه أحد لما نزل بهم من الهول، وأصابهم من ذلك الحادث الذي سلبهم الحركة، وأخرسهم عن القول، فوثب إلى ذلك الربان رجل من أصحابنا فتناوله إليه وأطلعه، وقد أشرفت السفينة على الغرق بسبب جذب ذلك الزورق، فأخذ ذلك الرجل من أصحابنا سفينة وقطع حبل الزورق فانفصل عن السفينة وذهب في البحر.

ثم إن الربان أمر بإلقاء الأحمال من الأثقال التي في السفينة، فألقوا في البحر ما وقعت أيديهم فيه حتى حصل التخفيف، ثم إنا فزعنا مع ذلك إلى الدعاء والتوسل إلى العلي الأعلى، وقد بلغ بنا الحال إلى ما لا يعلمه إلا ذو العزة والجلال، فما برحنا نسأل الله عز وجل بحق محمد نبيه المرسل، وبحق إمامنا المتوكل على الله وساير أهل بيت رسول الله حتى انفرجت عنا الشدة وقد أيقنا بحلول البأس، وضاقت النفوس حتى كادت تخلد إلى اليأس، وأما السفينتان الأخريان، فإن الموج رما بهما إلى جزاير في البحر. وما يزال يحول بهما يميناً وشمالاً حتى لقد تأخرنا عن خروجنا أربعة أيام لا ندري ما هما فيه، والظاهر من الحال أن الريح كانت عندنا أشد؛ لأنا كنا قد تقدمناهما بمسافة كثيرة، وهما سفينتان صغيرتان لا شك أنهما لا تقويان على ما نزل بنا من ذلك، وإنما هي في حكم هذا الزورق الذي غرق في البحر، ولما فرج الله هذه الشدة وسرنا بعد ذلك في البحر يومين كاملين، ودخلنا مرسى اللحية حامدين الله عز وجل، معترفين أنه تبارك وتعالى[٩٩/ ب] قد شملنا بفضله فأجزل، وأسبل علينا نعمه فأكمل، فالحمد لله حمداً يصعد أوله ولا ينفد آخره، ويتواصل ويتجدد حتى يرضى ربنا كما هو أهله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولما وصلنا بندر اللحية أسرعنا برفع الخبر إلى مولانا أمير المؤمنين -أطال الله له الأيام والسنين- فكان ذلك لديه أعظم مسرة، وأشرف مبرة، ورجع إلينا جوابه مشتملاً على مقبول الدعوات، ناطقاً بما أجنه ضميره من التحنن الذي نجانا الله به من عظايم الآفات، وتوجهنا إلى حضرته الشريفة تجذبنا أيدي الأشواق، وتمد إليه ركايبنا الأعناق، مؤثرين زيارته على الأهل والأولاد، مسارعين إلى التملي بكريم غرته التي جعلها الله عز وجل قبلة للعباد، وأسعدها

باليُمن والإسعاد، فكان وصولنا إليه -أيده الله تعالى- رابع شهر ربيع الأول وخمسين وألف سنة على تمام أحد وعشرين شهراً منذ فارقناه حتى وافيناه:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عيناً بالإياب المسافر

فاستبشر بنا -أيده الله تعالى- كما استبشرنا به، وأكرمنا بأفضل ما يكرم به الغايب عند إيابه، وتلقانا بما لا مزيد عليه من مكارم الأخلاق، وبما هو أهل من الشمايل المنطلقة بالفضايل على الإطلاق، وأحسن -أيده الله تعالى- في كرامة أولئك العسكر المصاحبين أتم الإحسان، وصنع إليهم من صنايع الفضل أحسن ما يريده الإنسان، وينطلق به اللسان، وما عند الله خير للأبرار، وثوابه تبارك وتعالى على مثل ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار، وهاهنا ينتهي ما أردناه وينقضي ما أردناه والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تدرك الإيرادات، ونصلي على نبيه وعلى آله أفضل الصلوات، ونسلم عليهم أجمعين من يومنا هذا إلى يوم الدين، ونستغفر الله العظيم من فرطات اللسان وهفوات الجنان لنا ولوالدينا ولجميع إخواننا من المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العل العظيم.

قال القاضي شرف الدين -أيده الله- في عنوان هذه النسخة ما لفظه: الحمد لله وحده، لما طلع مولانا السيد العلامة إمام الحفاظ، المتصرف بمعاني الألفاظ، ضياء الدين، صفوة العترة المطهرين، إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى الجحافي-حفظه الله تعالى- على هذه الأوراق أشاد ذكرها بما راق وفاق، فقال -حفظه الله-:

اسم سرح طرفك في ذي الجنان .... ورد كوثر الطرف عذب المعاني

وشاهد بدايع هذا الزمان .... فيما حكاه بديع الزمان

[١٠٠/ أ] تجد نزهة العين والقلب في .... محاسن يحكي ثغور الحسان

بلفظ يفوق حنان الجمان .... ومعنى ينيل بلوغ الأماني

وزادت محاسنها بهجة .... بما ضمنت في إمام الأوان

إمام تفرد بالمكرمات .... فليس له في معاليه ثاني

حمى الدين بالحجج البينات .... وبالمرهفات معاً والسنان

فدين الإله به في حمى .... وأهل الزمان به في أمان

انتهى.

قلت: لا أدري من أي الأمرين أعجب، أمن حرص الإمام -عليه السلام- والدعاء إلى سبيل الملك العلام، حتى طمع في إسلام أعظم ملك من ملوك الكفار الذي يأس منه ملوك الأقطار، من الروم والهند وغيرهم من الملوك الكبار، مع المشاهدة لأحوال من يدعي إلى ما ألف من الضلال، الذي لا دليل عليه إلاَّ تقليد أغتام الرجال، فإنك ترى الواحد منهم يزايل عن القول الباطل، والملك الضيق العاطل، الذي لا يتمارى في بطلانه عاقل، فما ذلك إلا لما جعل الله سبحانه في قلب هذا الإمام الطاهر، من الحنو والشفقة على دينه الظاهر، وما منحه سبحانه وتعالى من الفتوح المتواتر، والنصر القاهر، فذلت له لذلك الرقاب، وتسهلت له الصعاب، مصداق ذلك ما حكاه القاضي العدل المذكور -أيده الله- مما تراه في أخباره من ذكر عظمة

الإسلام في ديار الكفر القمين، الذين وصفهم الله في كتابه المبين بأنهم كما قال ولا الضالين، وما جعل في قلوبهم من الهيبة والجلالة لزعيم الإسلام والمسلمين، وولد سيد النبيين والمرسلين- أيده الله- كما أيد به الدين، اللهم، آمين.

أم من عزيمة القاضي الحبر، والغرة الصدر -أيده الله- والمضي إلى ديار الجاهلية النائية، ومحال سلاطين النصرانية، فاقتحم الأخطار في طاعة الله بطاعة إمامه، وخاض البحار وجاب القفار، ليبلغ عن الله سبحانه، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته -عليه السلام- بالغ أحكامه، فما أشبه حال المُرسِل والمُرسَل بحال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، وحال من بعثه للبلاغ وأرسل، مما رواه أهل السير والآثار أنه صلى الله عليه وعلى آله الأطهار كتب دعوته إلى ملوك الأقاليم، فأخبرهم عن الله سبحانه بما[١٠٠/ب] أمره به وأمر رسله الذين من قبله بالبلاغ إلى كل جبل واقليم، فانتدب لذلك من انتدب، بعد أن دعاه إلى ذلك نبي الله وقرب، فساروا لما أمروا أفراداً وأزواجا، وقطعوا ظلمات الشرك بضياء الإسلام الذي جعله الله سراجاً وهاجا، وهذا من ذاك، والحمد لله رب العالمين.

نعم! ومما أخبرني مولانا أمر المؤمنين -حفظه الله وأيده- إنه وصل إليه فقيه عالم صالح ناسك مفلح اسمه [....] إنه خرج من مصر إلى الحبشة أو إنه سمع منهم وأحسبه قال: ومن غيرهم من النصارى عظم موقع وصول القاضي شرف الدين -أيده الله- إلى تلك البلاد، وقوة ورعه، واحتياطه، وصدق عزيمته، واثار الحسن في الإرشاد إلى عز الإسلام، والغنا عن الحطام، ما ملأ الأسماع سروراً، والقلوب حبوراً، والإسلام قوة وظهوراً، حتى كان هذا الفقيه يدعو للقاضي على سماع الإستمرار.

وأخبرني الولد الحسن -أسعده الله- أنه لقي بعد عوده من المدينة النبوية والزيارة لخير البرية فقيهين من أهل مصر على مذهب الشافعي -رحمه الله- في بندر جدة ركبا معه في البحر إلى اليمن، قال: فلم أر مثلهما في لزوم مراقبة الله، وتوظيف الأوقات لعبادته، وتلاوة كتابه، والمذاكرة في فنون من العلم، قال: وسألتهما عن سبب خروجهما اليمن، وعن مصر، فقال: إن في مصر علماً ولا نقول إنا العلم لمكان ما فيها من الجور والظلم انقطع، وإنما قل من الفقهاء من لم يكن في جور ظالم من الأتراك فيكون في ظله وبدارته، حتى إنه قد يوجد من الكفار من لم يحتج إلى ما يحتاجه الفقهاء من الجوار، قال: وسألتهما أين يريدان. فقالا: خروجنا اليمن للنظر إلى هذا الإمام ولا غرض غير ذلك فإنا لم نسمع في الأرض بأعدل منه ولا أعلم، أو كما قال.

وأخبرني مولانا أمير المؤمنين -أيده الله- في عام سبع وستين وألف أنه وصله من فقهاء مصر الفقيه الذي ذكرناه من طريق الحبشة، وإنه وصله فقيه على صفته من مصر.

قال -عليه السلام-: وعرفت أنه من أهل العلم، فأمرت له بمكان قريب من الفقيه الأول، قال: فلما حاذى الآخر منزل الأول مال إليه باختياره وصاحب المنزل الأول تلقاه أيضاً، ولا يعرف أحدهما الآخر، وقال الأول: يكون هذا عندي في منزلي، وقال[١٠١/ أ] الآخر: كذلك ثم تساءلا، فإذا الآخر ابن الأول، وأنه خرج إلى اليمن يسأل عنه، قال: فتعانقا وبكيا، أظن أن الابن هو الذي ذكره الولد الحسين بن الإمام -عليه السلام- أغفل ذكر الولد المذكور؛ لأنه -عليه السلام- أراد بحديثه أن الأرحام تتواصل وتتعارف في ما أجرى الله من العادة، فلا يبعد أنهما من ذكرهما الولد الحسين والله اعلم.

ومما أخبرني -أيده الله- بأن قال: إن الفقيه المصري لا أدري أهو الأول منهما أو الآخر، سألني أن أكتب له عقيدة واضحة، قال: فحضرني ذلك وجعلته كتاباً أكبر من العقيدة المشروحة بالكتاب المسمى (البراهين الصريحة في شرح العقيدة الصحيحة) وسماه -عليه السلام- ولم أقف عليه.

ذكر معاودة ملك الحبشة بالهدية إلى الإمام -عليه السلام-، في عام اثنين وستين وألف فإنه أعاد على مولانا -أيده الله- المكاتبة ولم أقف على لفظ كتابه، وإنما ينقل عن خط سيدنا القاضي الصدر العلامة الحبر شيخ الإسلام، أحمد بن سعد الدين -أيده الله- جواب الإمام -عليه السلام- عليه وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد الله وسلام على عباده الذين اصطفى، إلى السلطان الملك المعظم، عمدة سلاطين الأمة العيسوية التي هي أقرب الناس مودة للذين آمنوا من الأمة المحمدية، المرجو من الله أن يجمعنا وإياه على كلمة سواء أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به أحدا، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، سجد فاسلداس بن السلطان سجدسينوس سلام الله على من اتبع الهدى، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي ختم به النبيين، وصدق به المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته الطاهرين، وأن عيسى بن مريم روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وأقول كما قال رب العزة معلماً لنا في كتابه الذي أنزله، ووحيه الذي فصله أن يقول لأهل الكتاب{وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} ، ونرجو أن تكونوا إن شاء الله ممن قال[١٠١/ ب] عز وجل فيهم

من سلفكم: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ، فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} .

وإنه وصل إلينا كتابكم بالإعتذار في تأخير رسل الهدية عن رسولنا القاضي حسن -أحسن الله إليه- بما ذكرتم من الأسباب، وإنا لم نختار إرسال القاضي المذكور إليكم لاستمداد شيء من الهدايا الدنيوية التي هي أحقر من أن تذكر، وأهون من أن تؤثر، فإنه يقوم بأمرها أدنى حامل، وأقل راحل، وإنما اخترناه ليحمل عنا إليكم الهدية الدينية، والدعوة الإسلامية المحمدية حين أنسنا منكم القبول، واستدعيتم منا وصول الرسول؛ ليكون وصولنا على أمر الله، وتعارفنا على كلمة الله التي يقول الله عز وجل معلماً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم:{قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} وبقوله عزوجل {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ، وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ

بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ، فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ

بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الله يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ، وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي الله مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} .

فهذه هي الهدية التي قصدناها، والبغية التي أردناها، والغاية التي سعينا إليها، والذخيرة التي حثثنا عليها، ونرجو إن شاء الله من فضل الله أن تكونوا قابلين وبها عاملين، وبسيفها على الأعداء صائلين، ولنا سلف في مثلك جدنا رسول الله ، ولك سلف في مثلها أصحبة النجاشي – رحمة الله عليه– كتب إليه جدنا رسول اللهً:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، بسلم أنت فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى[١٠٢/ أ] بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى.

ولما وصل الرسول بكتاب رسول الله، قال: ما أضخمه إني عليَّ القول وعليك الإستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا، وكأنا بالثقة بك منك لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولن نخف على شيء إلا أمناه، وقد أخذنا عليك الحجة من قبلك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور في ذلك الموقع الجز والمفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرق النبيً إلى الناس فرجاك بما لم ترجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه، الخير سالف، وأجره ينتظر، فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وإن بشارة

موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وإن العيان ليس بأشفى من الخبر، ثم كتب النجاشي-رحمه الله- جواب النبيً:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحبه، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمته وبركاته، الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله في ما ذكرت في أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقاً، وإنه كما ذكرت، وقد عرفت بما بعثت به إلينا وقد مر بنا ابن عمك وأصحابه وشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وإذا كان الأمر كذلك فحق علينا أن ندعوك إلى ما دعا إليه سلفنا، وحق عليك أن تجيب إلى ما أجاب إليه سلفك إن شاء الله، فإن ذلك منا ومنك أنفس الهدايا وأعظن العفايا، وفي مثله يقول ربنا عز وجل{يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، قُلْ بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} هذا وهديتكم هذه التي صحبة رسولكم وصلت إلينا كما ذكرتم في كتبكم، وهي خمسون رأساً من الرقيق الأحمر والأصفر والأخضر، وعشرة رؤوس من السود، وبلغة أخرى بسرج ذهب وعدتها وعذارتها نحاس وقبلناها وصدر في حفظ الله مع رسلكم تقفون عليه إن شاء الله في البيان الصادر طي هذا[١٠٢/ ب] الكتاب إن شاء الله إلى التوصل على الغرض المطلوب، والأمر المحبوب، ومن الإجتماع إن شاء الله على كلمة الله، والإتحاد في أمر الله، والقول كما علمنا الله عز وجل في قوله {قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} . انتهى